# الحق في السكن كصراعات أماكن ومجالات وهوامش

## مهاجرو جنوب الصحراء في تونس مثالا

تونس-صفاقس-جرجيس


دراسة من إعداد

**مرام تبيني**



المنتدى التونسي للحقوق الإقتصادية والإجتماعية

جانفي 2023

تم انجاز هذه الدراسة من قبل مرام تبيني بإشراف المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية في إطار عضويته في "الملتقى العربي للحماية الاجتماعية" ومشاركته في المشروع البحثي "الحماية الاجتماعية بعد التباعد الاجتماعي في منطقة شمال افريقيا والشرق الاوسط".

انطلق هذا العمل في أوائل 2022 وقد تم نشر جزء أولي منه في جوان 2022 تحت نفس العنوان. هذه النسخة هي النسخة النهائية والكاملة.

يصدر هذا العمل باللغة الفرنسية في صيغته الأصلية والتي تحمل عنوان:

Le droit au logement comme lutte de place, d'espaces, et de marges : Le cas des migrants subsahariens en Tunisie

مقدمة عامة ..... 5
أهداف الدراسة وأهم مواضيعها ..... 9
إطار مفاهيمي مرجعي ..... 10
مذكرة منهجية ..... 12
الملامح العامة للمشاركين..... 13
I. تونس..... 13
II. صفاقس..... 16
III. جرجيس ..... 18
القسم الأول: ملامح المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس..... 22
I. صناعة الحدود ..... 22
1. تعريف إفريقيا <<جنوب الصحراء>> ..... 23
2. حدود متحرّكة بين <<الشمال>> و<<الجنوب>> ..... 24
II. الحضور الهجري من<<جنوب الصحراء>> في تونس ..... 25
1. عناصر تاريخية ..... 25
2. تنوع المهاجرين ..... 29
III. التمثّلات الاجتماعية والثقافية للقادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس ..... 33
1. مسألة العنصرية..... 33
2. الإستبدال العظيم؟ ..... 35
3. الأزمة الاقتصادية والبطالة وكباش الفداء ..... 36
IV. الهجرة على حساب السياسات الدولية والمحلية. ..... 38
1. سياسات تصدير الحدود الأوروبية في تونس..... 38
2. صناعة أفراد دون أوراق..... 40
الجزء الثاني: سياق أزمة سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> إلى تونس..... 44
I. المهاجرون في المدينة ..... 44
1. اختيار مدينة للسكن ..... 45
2. الإختيار والسكن في حي..... 50
3. التمركز في المجال الحضري..... 54
4. مواقع الولوج الى سكن..... 56
5. الحق في السكن, الحق في الخدمات؟ ..... 56
II. منازل المهاجرين من الداخل ..... 59
1. خصائص السكن..... 59

2. التجهيزات والفواتير ..... 62

**الجزء 3: أزمة سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> من منظور العلاقات..... 65**

**I. العلاقات مع المالكين ..... 66**

1. الاهمال..... 66
2. سوء المعاملة ..... 66
3. الاستغلال ..... 67
4. الاستثناء في الحالات الاستثنائية..... 67

**I. العلاقات مع الشركاء في السكن..... 68**

1. الألفة والتقارب والمساعدة..... 68
2. علاقة التعايش: ضمان ووسيلة للتبعية ..... 69
3. الأدوار في المنزل ..... 69
4. التضامن مقابل العداء ..... 70

**II. العلاقات مع الجيران ..... 70**

1. الجيران المهاجرين مقابل الجيران التونسيين..... 70
2. العلاقات السيئة والممارسات العنصرية..... 71
3. شكاوى الجيران..... 72
4. الحياد والترحاب في العلاقات ..... 73

**III. مكانة الشبكات المجتمعية ..... 73**

1. أماكن وفضاءات التلاقي..... 73
2. الانتساب والمساعدة المجتمعية ..... 74

**خلاصة عامة ..... 75**

## مقدمة عامة

يقتضي تأمين حياة كريمة تعزيز سياسات عديدة، ومن أهم هذه السياسات نذكر السّكن. كيف لا وهو يمثل المأوى وإطار التآلف والتواصل الاجتماعي والمكان الآمن. إذ يمثل الفضاء أنى يسكن الشخص أصلا ماديا ومعنويا مهما للغاية. وقد يكون السكن أداة لمجابهة الكون مكتنزا فضلا عن بعده المادي والملموس جانبا عاطفيا ورمزيا[1]. إذ يعني تشييد <<بيتك الخاص>> وامتلاكه أنك << تمتلك فضاءً خاصا بك يخوّل لك أن تنظم حياتك "الخاصة" والفردية والعائلية بالطريقة التي ترضاها>>. وإن هذا الفضاء مُعَمِّرٌ لأنه يجعل الأفراد يتمتعون بخصوصيتهم وينجدهم من المخاطر الخارجية. ويكون انعدامه أو نُقصانه أمرا هدّاما على أصعدة عديدة بما أن مفهوم السكن يتعدّى الفضاء المكاني والمادي ليشمل الخبرات والتجارب المُعاشة داخل ذلك الفضاء.

ومع ذلك، لا تنفصل أفعال السكن والاحتماء والإقامة في فضاءات عن علاقات السيطرة الاجتماعية والسياسية المتجذّرة في التاريخ. وخير بُرهان على تَوَعُّرِ العلاقات هذه الحالات: العلاقات المتوترة بين الأجير والمستأجر والتجارب المتواصلة لتخييم اللاجئين وتجربة السكن في المبيتات وغيرها من الأماكن غير المؤهلة للسكن والتشرد وتجارب التحيّل في السكن (السكن في مكان يسكنه أشخاص آخرون أو مكان آيل للسقوط ). وأحيانا ، تكون هذه العلاقات إشكالية لأن وجود أشخاص في موقع ضعف يجعلهم لُقمة سائغة ويُكرّس التعسّف والتجاوزات والاجحاف.

يعاني الأشخاص الذين في وضعية تنقّل من مهاجرين ولاجئين وطالبي لجوء ونازحين ومنفيين ومرفوضين (الذين قُوبلت طلبات لجوئهم بالرفض) من أزمة سكن. بالإضافة إلى عملية الهجرة التي توهن الأفراد وتُضعفهم ، يتعرّضون إلى ضروب من التمييز حسب ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية وانتماءاتهم وشرائح من هوياتهم الموصومة ومنهم الفقراء والنساء وذوي البشرة السوداء والأشخاص الذين يختصون بتنوع عصبي والأشخاص الذين يعانون من أمراض مزمنة والأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع الميم والأشخاص الذين تعرضوا لصدمات جسيمة والأشخاص الذين أفلتوا من الاضطهاد أو نجوا من الحروب في مواطنهم أو في الطريق. ومنه، تبدو علامات التهميش متعددة ولكنها مترابطة. وتتقاطع نزاعات الأشخاص المُضطَهَدين في السكن مما يُفسّر الشدائد التي يلقاها هؤلاء الأشخاص. وهو مفهوم مستوحى من أعمال كيمبريلي وليامز كرينشو في نهاية 1980 عن أشكال السيطرة الجمعاء (الجندريّة و الإثنية-العرقية والاقتصادية ،إلخ) ومعضلات الهويات والاستراتيجيات التي تعاني منها الأقليات أو الأشخاص المضطهدين الذين تمت السيطرة عليهم في التقاطع[2]. أما بالنسبة إلى مسألة إسكان المُهاجرين ، تُمثّل التقاطعيّة –بسبب وجود هويات مختلفة- أداة فهم شاملة ومهمة .

---

[1] باشيلارد ، جاستون ، وآخرون. شاعرية الفضاء، 1957.

[2] كرينشو، كيمبرل دبليو، أوريستيل بونيس. " خرائط الهوامش: التقاطعية، سياسات الهوية والعنف الممارس ضد في حق النساء ذوات البشرة الملونة، دفاتر نوع الجنس، الحجم. 39، العدد. 2، 2005، ص.51-82.

تُطرح مسألة السكن في تونس على مستويات عديدة فيما يخص المجموعات المقصية والمُهمّشة ومن أهم هذه المجموعات المهاجرين واللاجئين وطالبي اللجوء القادمين من <<جنوب الصحراء>>.و ستُعنى هذه الدراسة بشكل خاص بمسألة سكن هذه المجموعة في خضم الحواجز التي يمكن أن تُحدف من كل حدب وصوب لتُعرقل إمكانية التمتع بالحق في السكن بسبب أبعادها المختلفة وبالتالي، يقتضي النظر في مسألة سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> فهم الوضعية العامة لهذة المجموعة التي تسلمت موقعا اجتماعيا يحتّم عليها التبعيّة[3]المطلقة. وهو موقع المضطهدين والضحايا النموذجيين للانقسام العالمي للعمل والمُكبّلين العاجزين عن التعبير عن آرائهم[4]. ويُرمى بهؤلاء الأفراد في مطحنة إخضاع وتذويب كي تُمحى ذواتهم وتتشكلها السلطة المُهيمِنَة كما تشاء وترضى. وهكذا يكون لأفراد المجموعة مصيرا محتوما ومفروضا . لئن كان المهاجرون القادمون من << جنوب الصحراء>> مُختلفين (طلاب يتمتعون بمنحة دراسية ، عمال متعاقدون ، مهاجرون غير نظاميين، لاجئون ، طالبو لجوء، مرفوضون ، إلخ..) إلا أن جميعهم عانوا من <<التفرقة العنصرية>> منذ وصولهم إلى تونس مما يجعلهم في موقع تبعية. يتقاسم القادمون من <<جنوب الصحراء>> طرق الهجرة ويتجشّمون سويا العنصرية التي تمارس على السود في بلدان شمال إفريقيا وهكذا يكون <<العرق>> -بالإضافة إلى الضعف الإداري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي – محددا لمكانة هؤلاء المُهاجرين في المجتمع[5].

إن تقلّب الأوضاع السياسية يُسلّط الضوء على المشاكل الاجتماعية المُتغَافل عنها. كما مثلت ثورة 2010-2011 وجائحة كورونا سنة 2020 وأحداث 15 جويلية 2021 وغيرها من الظروف[6] فرصا كي يُلعلع الضعف ويبصره الجميع وكي يصدح صوت المقصيّين. وقد انتظمت مظاهرات اثر مقتل المهاجر ورئيس جمعية الجالية الإيفوارية في تونس <<فاليكو كوليبالي>> في ديسمبر سنة 2018 وشملت مدنا عديدة في تونس[7] . وما هذه المظاهرات إلا تعبيرا عن خيبة الأفراد وامتعاضهم من سلسلة الاعتداءات المُسلّطة عليهم والتي يشعرون بها وهي أيضا تُخبر عن التضامن الذي خُلِق بين أفراد المجموعة. وتدلّ المظاهرات التي نظمها اللاجئون وطالبو اللجوء انطلاقا من 9 فيفري 2022 في ولاية جرجيس ومن ثمة أمام مقر المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أنه قد طفح الكيل وأن الإهمال المؤسساتي والانتظار الدائم لمدة سنوات بات أمرا لا يُحتمَل على الإطلاق.

يعني التظاهر إيجاد صياغة مناسبة للمطالب السياسية التي تجسّد الضيق والرغبة في مقاومة الظروف السيئة .كما يبيّن فعل التظاهر انتماءً يقطع مع الأسطورة التي تقول أن تونس ليست سوى وسيلة لبلوغ الفردوس الأوروبي .وهي الرواية الأسطورية ذاتها التي تتغذى عليها أوروبا في سياسات تصدير الحدود وتتغذى عليها سياسات القمع المحلي. ولا يمكن نكران وجود أشخاص في الإقليم عابرين كانوا أو مستقرين بشكل دائم أو طويلا لأن تواجدهم يقتضي الحصول على فضاء

[3] انطلاقا من منظور"الدراسات التابعة" أعمال سبيفاك على التابعين.
[4] سبيفاك، غاياتري شلكرافورتي. هل يمكن للتابعين أن يتحدثوا؟ باريس، طباعة أمستردام، 2009.
[5] الميري، م. مصير <<السود>> في طرق الهجرة: التفرقة العنصرية في حق المهاجرين والعنصرية العالمية. علم الاجتماع والمجتمعات، 50(2)، 2018، ص. 101-124. https://doi.org/10.7202/1066815ar
[6] مثل الصعوبات الاقتصادية التي تعيشها البلاد والدوافع السياسية التي جدت بعد أحداث مهمة(انتخابات، حل مجلس نواب الشعب، إستفتاء)، إلخ
[7] كاسريني، كميل، <<حدث الكثرة>>- حين يصبح اللاجئون مواضيعا سياسية، 25 جويلية 2021
https://tn.boell.org/fr/2021/06/25/levenement-de-trop-quand-les-migrants-deviennent-des-sujets-politiques

معين يعتبونه <<مكانهم الخاص>> فتغدو مسألة المسكن مسألة مهمّة أكثر فأكثر في سياق التنقل.

وبطبيعة الحال، تظهر الحاجة للتنقل وعبور الحدود الجغرافية لأسباب عديدة كعدم وجود آفاق في المستقبل والرغبة في إكمال دراسة مُعمّقة أو التعرّض للاضطهاد في الموطن الأصلي أو الرغبة في التحرر أو للقاء معيّن أو بسبب الحرب أو للبحث عن أمر ما أو بغية الظفر بحياة أفضل بكل بساطة. وتختلف هذه العوامل حسب الأفراد وظروفهم.

لا تُقصي الهجرة الحاجة للاستقرار الدائم والإقامة في ظروف ملائمة وإمكانية التطلّع إلى حياة هنيئة في المجتمع المُضيف أو خارج الحدود بيد أننا نشاهد في تونس المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء >> الذين يناكفون صعوبات عديدة تُعسِّرُ الاستقرار. ومن بين هذه الصعوبات تتذكر مسألة السكن التي تحدد مصير الأفراد مسبقا.

في الواقع، قد يكون التنقل بالنسبة إلى الفئات غير المستقرّة أو التي لم يتمّ إدماجها بعد في المجتمع حُكما بالتشرّد والضلال أو بالتبعية المتواصلة في الزمن مثل المبيتات والأماكن غير المؤهلة للسكن والإيواء إنعاما والمساكن الضيقة مقابل <<خدمات>> تنظيف أو أسعار مُشطّة والشقق المكتظة، إلخ..

يكون السكن ضمن شبكة كبيرة من المظالم المترابطة وبحكم الأمر الواقع، يصعب منح تصريح إقامة دون الحصول على عقد يبين امتلاك سكن لائق وبالتالي تقلّ فرص الحصول على عمل في ظروف ملائمة. وترتبط صعوبات تسوية الوضعية بالصعوبات المتعلقة بالسكن. فيشعر المهاجرون القادمون من <<جنوب الصحراء>> بحيرة تضاهي حيرة كافكا بحيث تعبث السياسات والمؤسسات وأهواء بعض المالكين بحياتهم وتحرمهم من العيش بسلام. عندما يعمل الأشخاص الذين يتنقلون بأبخس الأسعار ويتم استغلالهم من قبل رؤساء العمل والمؤسسات ، يطال الاستغلال خصوصيتهم فتُهمَّشُ مَساكنهم.

أما بالنسبة إلى اللاجئين وطالبي اللجوء فينهال سيل عارم من النصوص التشريعية غير المفهومة أحيانا بالنسبة للأشخاص المعنيين تجعل إجراءات الاستقرار معقّدة أكثر فأكثر وغير متوقعة وإقصائية. وعلاوة على ذلك، يسكن هؤلاء الأفراد في ظروف غير ملائمة وهم طريدة للمشاجرات مع المتساكنين. وفي هذا السياق أوصد مركز جرجيس أبوابه وهو مركز تحت إشراف المفوضية السامية للأمم المتحدة وتم ذلك إثر مشادات ذات طابع <<أخلاقي>> بين المتساكنين التونسيين والمهاجرين[8]. ويختلف الأمر بعض الشيء في المراكز المخصصة لإيواء المهاجرين الأخرى. يعتبر مركز <<الاستقبال والتوجيه>> بالوردية مركز احتجاز دون إطار قانوني أو اتفاقية دولية وكان تحت اشراف وزارة الداخلية التونسية. استقبل هذا المركز مئات المهاجرين الذين احتاروا بشأن المبرر القانوني لتواجدهم في تونس. وكان المركز يشبه السجن وهو مكان للإقصاء والتدبير الأمني لحياة المهاجرين

[8] مارلين باناما، تونس: تحت ضغط السكان، يغلق أحد مراكز إيواء طالبي اللجوء أبوابه، أنفوميغرون، أكتوبر 2021.

غير النظاميين . وقد تم توثيق[9] عمليات إخلاء في الحدود الجزائرية أو الليبية إنطلاقا من هذا المركز. ويدلّ ذلك على تواجد المهاجرين غير آمن في تونس وأن حقوق الإنسان مُنتهكة كحق الحصول على مأوى وأن التدبير الأمني يصبو إلى التخلّص حرفيا من المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>>. إذ أصبحت الدولة تُجيب عن أسئلة مثل: أين سيتم إسكان المهاجرين؟ كيف سنخبئهم؟ بالعنف البوليسي والمؤسساتي . ولا يعني تجنّب هذه العقوبات الخلاص الأخير لأن مهاجرين يجدون أنفسهم أمام تحديات أخرى كإيجاد مسكن وتسوية وضعيات سكنهم وتسديد التكاليف في الوقت المحدد وأن تُحترَمَ خصوصياتهم وثقافاتهم وعدم الوقوع في شراك المتحيّلين وتفادي الشجار مع المالكين والمستأجرين والجيران ، إلخ.

وبناءً على ما تقدّم من ملاحظات ،تغدو أهمية مسألة سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء >> في تونس منطقية للغاية. يُجرَّمُ وجودهم أحيانا ويتم التغاضي عنه أحيانا أخرى فيُفترض أن يتم الاهتمام بالصعوبات التي يجابهونها كأن يجدوا مشقّة في السكن في مستويات عديدة من الحصول على سكن وفي علاقة بالمحيط المادي والبشري. ودلّت العديد من الملاحظات والشهادات على هذه الصعوبات المستمرّة والمحدّدة للوضعية العامة لسكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس. ومن هذه الملاحظات والشهادات يمكن أن نعدّد:

1. حالات الإخلاء وحالات الطرد دون سابق إنذار وحالات مطاردة المستأجرين لعدم القدرة على تسديد ثمن المسكن أو <<مضايقة>> جيرانه أو اذعانا لرغبات المالك[10].
2. الاعتداءات والشجار بين أصحاب المسكن والمستأجرين أحيانا باستعمال السلاح الأبيض والتي ينتج عنها أضرارا جسدية للمهاجرين[11].
3. اعتقالات تعسّفيّة للمهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> وعمليات دهم تقوم بها الشرطة –دون تفويض قضائي- إذ يطلب رجال الشرطة الاستظهار بعقد كراء ويصرّون في جميع الأحوال على جلب المهاجرين إلى مراكز الشرطة وإن وُجد العقد كي يقوموا بالتعداد السكاني في ظروف مُهينة[12].
4. شكاوى بخصوص عدم وجود عقد كراء بسبب رفض المالكين التوقيع عليه وأسعار فواتير الكهرباء والماء والغاز المُشطة التي يشهدها المهاجرون[13].
5. الابلاغ عن جثث المهاجرين التي تم ايجادها في حيدرة من ولاية القصرين في تونس وهم مهاجرون ماتوا من الجوع والبرد في طريقهم إلى تونس عن طريق الجزائر[14].

---

[9] أمل مكي، مهاجرون محتجزون في مركز الوردية، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية 2019.

[10] مراقبو فرنس 24، في تونس، مهاجرون قادمون من جنوب الصحراء يستنكرون تعرضهم للهجمات بالسلاح الأبيض عدة مرات، أنفوميغرون، 8 أفريل 2021، https://t.ly/TKv-.

[11] المصدر السابق

[12] أحلام ميمونة. تونس : جمعيات تدين "التوقيفات التعسفية" للأفارقة القادمين من جنوب الصحراء، 31 مارس 2022، ميدل إيست أي، https://t.ly/zCyH.

[13] ماي كوت، نظرة على معاملة الذوات البشرية العابرة للوطن في تونس: ملاحظة حول مشروع تعزيز قدرات منظمات المجتمع المدني لمقاومة الاتجار بالبشر في إفريقيا،تار دازيل تونس، 2020, https://t.ly/tNpY.

[14] العثور على أربعة مهاجرين ميتين " من البرد والجوع في تونس، لوفيجارو، 3 مارس 2022، https://t.ly/YOTc.

6. المطالب السياسية للاجئين ولطالبي اللجوء بشأن ظروف السكن في الملاجئ وفي مراكز الإيواء الذين اكتملت طاقة استيعابهم بسبب العجز المالي وفق ما أدلى به مسؤولو المفوضية السامية للاتحاد الأوروبي[15].

إن ظروف أزمة سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس خاصة ومتغيرة. يكابد المهاجرون صعوبات تتأتى من مصادر متعددة ويعيشون حياة يومية عسيرة كما يتم انكار حقهم العالمي كأشخاص من المفترض أن يتمتعوا بمسكن يحفظ كرامتهم ويليق بهم وأن يتنقلوا في فضاء مفتوح وأن يُعاملوا بالحسنى وأن يكونوا أحرارا.

تُطرح أسئلة عديدة بشأن سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> ونذكر منها: كيف تتم تسوية وضعية مهاجرين في منطقة حضرية؟ ماهي أهم الصعوبات التي يمكن أن يلقاها المهاجر القادم من <<جنوب الصحراء>>في تونس للحصول على سكن ؟ ماهي أوجه الاختلاف بين المناطق التونسية (الشمال، الوسط، الجنوب) فيما يتعلّق بمسألة سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> وماهي خاصيات المساكن التي يختارونها أو تُفرض عليهم؟ ماهي أهم علامات عدم استقرار مسكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>>؟ كيف يمكن أن نصف المعاناة التي يعيشونها بسبب التميز ؟ ماهي موازين القوى الموجودة؟ كيف تتجلى تصوراتهم وتجاربهم في علاقة مقارنة بين مسكنهم الحالي ومسكنهم القديم؟ كيف ينجحون في التفاوض على القيود المفروضة عليهم ؟ ماهي أهم الاستراتيجيات التي يتّبعونها؟

يعود الاهتمام بهذه الدراسة إلى أسباب عديدة : أهمية مسألة الحق في السكن للمهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> والمُجتمع المُضيف وضرورة فهم ظواهر الإقصاء التي يعانون منها في تونس والحاجة إلى اكتشاف تبعات القيود على حياة ومستقبل المهاجرين القادمين من<<جنوب الصحراء>> والحاجة المُلحّة لتطوير الأدوات للتقليص من الحواجز وتبعاتها على الأشخاص المُستقرين في تونس.

## أهداف الدراسة وأهم مواضيعها

تضع هذه الدراسة أهدافا مرتبطة بالنهج المُعتمد وبالمواضيع التي تمت صياغتها سعيا للإجابة عن هذه التساؤلات وتلبية للرغبات التي ناقشناها. وبالاعتماد على المنهج الكيفي تحقق هذه الدراسة ثلاثة أهداف رئيسية وهي الآتية:

- استكشاف تواجد المهاجرين القادمين من <<جنوب إفريقيا >> في تونس والإدارة السياسية والاجتماعية والإعلامية لهذا التواجد إنطلاقا من طرق هجرة عدد من

[15] نسيم جاستيلي، من جرجيس إلى تونس، النازحون يتظاهرون لأن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين لا توفر لهم الحماية الازمة، إنكفاضة، 23 أفريل 2022، https://t.ly/MLYg .

المهاجرين واللاجئين وطالبي اللجوء القادمين من <<جنوب الصحراء>> والمستقرين في ثلاث جهات رئيسية في تونس،

- إعداد وثيقة حول ظروف سكنهم وخصائص المسكن الحالي والمسكن القديم فضلا عم مساعيهم المختلفة للحصول على سكن والحفاظ عليه في تونس ،
- توضيح تصورات المهاجرين واللاجئين وطالبي اللجوء إزاء السكن وديناميكيات السكن داخل المبيت وفي المحيط والعلاقات التي تتكون بين الأشخاص الذين يتشاركون نفس المسكن (المالكين ، المستأجرين ،الجيران).

تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام . بعد صياغة إطار سياقي مرجعي ومذكرة منهجية التي تُقدّم التمشي العام وملامح المشاركين في المقابلات. سيُعنى القسم الأول بتصوير السياق العام لتواجد المهاجرين القادمين من <<جنوب إفريقيا>> في تونس وما ينجرّ عن ذلك من تأثيرات سياسية واجتماعية وثقافية وإعلامية واقتصادية . أما القسم الثاني فيهدف إلى وصف حالة إسكان اللاجئين وفقا لنتائج البحث التجريبي ودراسة الصعوبات التي يجابهها المهاجرون للحصول على بيت والحفاظ عليه، فضلا عن الاستراتيجيات المُعتمدة لتحقيق هذه الغايات. يرمي القسم أيضا إلى فهم الواقع المُعاش داخل المبيت والديناميكيات التي تتكون مع المحيط المادي والرمزي والبشري. أما عن القسم الثالث فيلتقط الخصائص العلائقية التي تحدد ظروف الإسكان.

## إطار مفاهيمي مرجعي

وسعيا لدراسة مسألة إسكان المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس ، كان حري علينا أن نعتمد نهجا متعدد التخصصات لأن الموضوع معقّد والحياة التي تعيشها هذه الفئة المستهدفة خاصة جدا. ومع ذلك، تم تفضيل البعد الأنثروبولوجي لدراسة هذه المسألة وفهم أسس وديناميكيات السكن في سياق محدد.

يرى دايفيد إميل دوركايم أن السكن هو إنتاج إجتماعي و <<يعكس>> النشاط البشري ويتشكّل بهويات الشعوب التي تُعمّر فيه أو تسكنه[16]. يلاحظ مارسيل موس لما درس المجتمعات التي تسكن في الأراضي القطبية أن تغيير مسكنهم يتم حسب الفصول ، بمعنى أن السكان الأصليين يغيّرون شكل منازلهم[17]. أما بالنسبة إلى كلود ليفي ستروس فيصف في »المدارات الحزينة« كيف يكون الفضاء وسيلة لتفسر المجتمع[18]. ويسهب بيير بورديو في التحليل واصفا تقسيم الأدوار- حسب الجنس مثلا- داخل المسكن منطلقا من المنزل القبائلي[19].

[16] إيميل دوركايم (1899)، "ملاحظات عن التشكل الاجتماعي"،السنة السوسيولوجية،2،ص.520-521.
[17] موس م. (1904-1905"2002) ، "مقال عن التغيرات الموسمية لمجتمعات الإيسكيمو". دراسة الشكل الاجتماعي، كلاسيكيات العلوم الاجتماعية، مقتطف من السنة السوسيولوجية الأصلية(المجلد التاسع، 1904-1905) بالتعاون مع ه.بوشات،ص.5.
[18] ليفي ستروس، كلود."الاستوائيات الحزينة". عبر.جون ودورين ويتمان. نيويوك : كتب البطريق (1992).
[19] بورديو، بيير."المنزل أو العالم المنقلب رأسا على عقب"، سبقه "ثلاث دراسات في الإنثبولوجيا القائلية"، تحت إشراف بيير بورديو، مكتبة دروز، 1972، صص.45-59.

لطالما اهتم المفكرون بالديناميكيات وعلاقات القوة في علاقة بالسكن وفي هذا الصدد أكد بيير جوزيف بودون أن صلاح المسكن هو أهم ما يجب أن يُعتنى به فيعتقد أن خلق نماذج جديدة هو أمر ضروري وسيحدّ من علاقات الاستغلال بين المالكين والمستأجرين والتي تبرّم من تكرارها في عهده (1809-1865)[20].

لم تهدأ هذه النزاعات مع مرور الوقت وظلت التساؤلات بخصوص الحق في المدينة والحق في السكن قائمة وحديث الساعة. يعتبر هنري لوفيفر (1968) أن المدينة هي نتيجة تفاعلات كل من سلكها. كما أن علاقات القوة والقدرة على التصرف الجماعي السياسي والاقتصادي هي في حد ذاتها جوهر المطالبات بالحق في المدينة والحق في السكن. وبوضع طرق الإنتاج الاجتماعي هذه محل تساؤل ، اعتبر أن الحق في السكن هو وسيلة للتملك والتحرر والتي ستكون تكريسا لل<<حق في الفردانية في التنشئة الاجتماعية>> بامتياز وهكذا تكون وسيلة للحصول على مسكن ولتصبح مواطنا وتكون لك وظيفة في الإنتاج السياسي في المدينة[21]. فليست المدينة مجرّد بنايات وجدران مُشيدة ويجب أن يُفهم التساؤل عن التمتع بالحق في المدينة انطلاقا من الديناميكيات السياسية الموجودة.

ومع ظهور مدرسة شيكاغو وروّادها تجلّى الاهتمام بالتفرقة والتقسيم الاجتماعي للمجال الحضري في المدينة وتم استغلال ذلك مجددا ك<<مخبر اجتماعي>>[22] من قبل نشطاء المنزل الاستيطاني هيل هاوس وأنصار تلك المدرسة الناشئة في تلك الحقبة. وبالتالي غدا الحي وحدة تحليل – مثل الفرد- بما أنه يبني تصورات أفكار وعلاقات اجتماعية. ومنه إن التفرقة بين الأحياء تنصبّ في جوهر عملية التقسيم الاجتماعي. ازداد الاهتمام بمكان الإقامة كأداة للفهم[23] بسبب العنف الحضري والاستطباق وظواهر الغيتو. كما أن دراسة الحق في السكن تقتضي أن نضعه في سياق أشمل من الحي والمدينة. وامتازت مدرسة شيكاغو بالبراغماتية المنهجية وبيّن أنصارها أن أنماط الفضاءات الحضرية تستدعي التقارب الجغرافي والاجتماعي للشعوب الأجنبية المهاجرة . إذا ، تكون العلاقات بين الأعراق والثقافات المُختلفة أسس عادات شيكاغو[24].

إن ما يختبره المهاجرون يوميا من غيرية وعنصرية يجعلهم يتخذون المدينة والحي والمبيت منتدى أو مكانا عاما. يعني التفكير في مسكن للمهاجرين الاهتمام بمسألة التميز في اتاحة السكن الاجتماعي[25] وأن تولي أهمية أيضا للعلاقات بين الاثنيات والعلاقات بين الأجناس وعلاقات بين الأحياء والجوار[26] وأن تكترث إلى التجارب الخاصة لتخييم المهاجرين[27] والسكن في أماكن غير مؤهلة وأن

[20] إنجلز وفريدريك وجيلبيرت لينوار. مسألة السكن. الطبعة الاجتماعية، 1969.
[21] ليفيفر، هنري. الحق في المدينة، باريس : أنثروبوس ، 1968.
[22] ج. أدامز، عشرون عاما في هال هاوس، نيويورك، ماكميلان، 1910.
[23] روبرت سامسون، مدينة أمريكا العظمى: شيكاغو والتائج الدائمة للجوار، شيكاغو ، مطبعة جامعة شيكاغو، 2012،ص552.
[24] شابولي،جان ميشال." كيف يُكتب تاريخ علم الاجتماع: مثال الكلاسيكي الذي تم تجاهله، الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا." مجلة تاريخ العلوم الانسانية 2 (2001): 143-169.
[25] بن كي شون، جان لويس." الطبيعة المتناقضة للتفرقة العنصرية في الأحياء المحرومة في فرنسا." الدراسات الحضرية 47.8 (2010): 1603-1623.
[26] تيسو، سيلفي، جيران جيدون. تحقيق في حي البرجوازية التقدمية. أسباب التصرف، 2011.
[27] أجير، ميشال. "تخييم اللاجئين في العالم" يمين كامل 90.3 (2011): 21-24.

يشغل بالك الذين لا يملكون اثباتا على هويتهم[28]. إن أنثروبولوجيا المهاجرين والأنثبولوجيا الإنسانية وأنثبولوجيا المهاجرين هي عوامل مفاهمية ساهمت في إثراء دراسة هذه المسألة وأسهمت الأعمال المنجزة على ميادين مختلفة أيضا في فهم أجزاء سياقية محددة[29] وتم اتخاذها كمراجع.

على وجه الخصوص، يعني التفكير في حق اللاجئين القادمين من <<جنوب إفريقيا>> في تونس التفطّن إلى السياق التاريخي والسياسي انطلاقا من نهج يفضّل <<التاريخ من الأسفل>>[30] وتسليط الضوء على قصص المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> ولاسيما الذين يعانون من التهميش والفقراء والمضطهدين وغير المتطابقين مع الآخرين والمقصيين. فيجدر إذن بنا أن ننظر إلى تمركز هذه الفئة المستهدفة في الدراسة من منظور <<دراسات التابع>>[31]. كما يجب أن نتموضع في التقاطعية لفهم ما يعيشه المهاجرون على اختلاف شخصياتهم وهوياتهم مما يخفي وصمات عديدة يتم التعامل معها في الوقت نفسه[32].

## مذكرة منهجية

تم انجاز هذا البحث بالتعاون مع المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية بهدف دراسة الحق في السكن للمهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> والمقيمين في تونس وتم جمع المعطيات بالأساس أثناء القيام بدراسة ميدانية دامت ثلاثة أشهر من شهر مارس إلى غاية شهر جوان من سنة 2022 وأنجزنا خلال هذه الفترة سلسلة من المقابلات شبة المهيكلة مع مجموعة من المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> والمُقيمين في تونس.

وتخلل العمل 34 مقابلة فردية في جهات الشمال والوسط الشرقي والجنوبي الشرقي للبلاد التونسية مقسّمة كالآتي: 10 مقابلات في مدينة تونس و11 مقابلة في مدينة صفاقس و13 مقابلة في مدينة جرجيس. وكانت الوضعيات الإدارية للأشخاص الذين جرت محاورتهم متباينة (مهاجرون، لاجئون ، طالبو لجوء، مرفوضون) كما أنهم قادمون من بلدان مختلفة من غرب إفريقيا (ساحل العاج وغينيا وغينيا بيساو والسنغال ومالي) وشرق إفريقيا (السودان وإريتريا) ووسط إفريقيا (الجابون والكاميرون).

وتم اختيار المشاركين بفضل وسائل التواصل الاجتماعي التي استهلت أول لقاء بيننا وبين المشاركين أو بالتواصل المباشر مع الأشخاص في المكان العام أو عن طريق معارف مشتركة وقد جرت المقابلات في أماكن عمومية مثل المقاهي و مقرات عمل المشاركين وفي السوق في الهواء

[28] بوالون وفلورنسا وباسكال ديتريش راجون. "خلف الوجهات. أنثروغرافيات الأماكي الآيلة للسقوط الباريسية." الأثنولوجيا الفرنسية 42.3 (2012): 429-440.

[29] مثلا أعمال ميشال أجير (2008، 2011)، ديديه فاسين (2010)، جورجيو أغامبين (2007) ، ستيفان لو كورانت (2022)، كارولينا كوبلينسكي (2015)، إلخ.

[30] فيفار، لوسيان. المحاربة من أجل التاريخ، ديوند، 1953.

[31] تيار التفكير المستوحى من مجموعة من المدرسين من جنوب آسيا المهتمين بمجتمعات ما بعد الاستعمار وما بعد الإمبراطورية.

[32] ليبينار وإليونور وسارة مزوز. للتقاطعية. باريس : أناموسيا، 2021.

الطلق وفي الشارع وفي الشاطئ وعلى طرقات المدينة. ودأبنا إلى تسهيل عملية التبادل ورفع الحرج والكُلفة على المشاركين بتجنب إجراء مقابلات في مكان سكناهم.

كما أحطنا المشاركين علما بأهداف هذا البحث والإطار الذي تنضوي تحته وفسّرنا بطريقة مستفيضة كل ذلك. وتم تسجيل الشهادات صوتا بعد الحصول على موافقة المشاركين الشفوية – الحرة (بدون ضغوط) والمُستنيرة (عن علم واطلاع)- ومن ثمة تم نسخها وترميزها لحفظ هوية المشاركين وضمان سرية معلوماتهم الشخصية.

ونتقدّم بجزيل الشكر للأشخاص الذين قبلوا المشاركة في هذه الدراسة التي لولاهم لما وجدت للبحث سبيلا وهم العنصر الأساسي والمهم في الدراسة ونحن نُثمّن وقتهم وجهدهم وطاقتهم وتأهّبهم للمشاركة وإطلاعنا على جزء من واقعهم في تونس وتنمّ المشقّة التي يعيشونها والصوبات التي يجدونها عن مقاومة مذهلة وتضامن كبير.

## الملامح العامة للمشاركين

يختلف المشاركون ويتباينون ؛ويمثل ذلك تنوع الشعب القادم من <<جنوب الصحراء>> إلى تونس ، إذ يختلف هؤلاء الأفراد في الهويات وطرق الهجرة والظروف الحياتية. وسنقدّم في ما يلي الخصائص الاجتماعية والديمغرافية للمشاركين حسب مدينة الإقامة.

### ا. تونس

| | |
|---|---|
| السن | بين 19 و38 سنة<br>معدّل الأعمار : 29.8 |
| الجنس | خمس (5) نساء<br>أربعة (4) رجال<br>إمرأة (1) عابرة جنسيا |
| الحالة الاجتماعية | خمسة (5) متزوجون<br>مشاركة (1) كانت في وضعية مساكنة وتوفي رفيقها منذ 6 أشهر<br>واحدة (1) مخطوبة<br>ثلاثة (3) عازبون /عازبات |
| عدد الأطفال الذين يعيلونهم | خمسة (5) ليس لديهم أطفالا<br>واحد (1) لديه أربعة أطفال<br>أربعة (4) لديهم طفل واحد (لا يتجاوز عمره السنتين) |
| الدين | ستة (6) مسيحيون |

| | |
|---|---|
| | أربعة (4) مسلمون |
| الوضعية الصحية | ثلاثة (3) يقولون أنهم في وضعية صحية جيّدة<br>ثلاثة (3) يصفون وضعهم الصحي ب"المتوسط" و"المتقلّب"<br>ثلاثة (3) يقولون أنهم يعانون من أمراض مزمنة ويجدون صعوبة في الحصول على الرعاية الازمة<br>واحدة (1) تعاني من آثار الاعتداءات المسلّطة عليها في الطريق |
| حي الإقامة | إثنان (2) في البحر الأزرق<br>إثنان (2) في حي الخضراء<br>إثنان (2) في العوينة<br>أربعة (4) في أريانة وسكرة (برج الوزير ونجمتار) |
| البلد الأصلي / الجنسية | ثلاثة (3) من الكامرون<br>واحد (1) من مالي<br>واحد (1) من ساحل العاج<br>واحد (1) من غينيا بيساو<br>إثنان (2) من غينيا كوناكري<br>إثنان (2) من السنغال |
| البلدان التي مروا بها في الطريق | إثنان (2) : نيجيريا ،النيجر، ليبيا، الجزائر<br>إثنان (2) : مالي، الجزائر<br>واحد (1) : المغرب ، الجزائر ، ليبيا<br>خمسة (5) : لم يعبروا أي بلد |
| المهنة | واحد (1) لاعب كرة قدم هاجر ليحقق أحلامه ولكن يجد نفسه يعمل ويقوم بأعمال تنظيف في تونس<br>ثلاثة (3) متسولين (+ واحد (1) يبيع المناديل الورقية في الشارع)<br>واحد (1) "مستشار طبي" يساعد الأطباء على ايجاد مرضى أجنبيين<br>إثنان (2) رائدتي أعمال ( صاحبة مطعم إفريقي (1) و صاحبة صالون تجميل)<br>واحدة (1) تقوم بأعمال منزلية في المبيت<br>إثنان (2) يقومان بأعمال تنظيف لدى الخواص ويبيعون في السوق وفي المطعم |

| | |
|---|---|
| المستوى التعليمي | إثنان (2) غير متعلمين<br>واحد (1) تعليم ابتدائي<br>إثنان (2) شهادة الدراسة الإعدادية<br>إثنان (2) مستوى ثانوي<br>إثنان (2) مستوى جامعي عالي (إجازة وبكالوريا+5 سنوات)<br>واحدة (1) تكوين مهني (طبخ) |
| الوضع الإداري | ثلاثة (3) مهاجرون "دون مستندات"<br>ثلاثة (3) مهاجرون تمت تسوية وضعيتهم القانونية<br>ثلاثة (3) لاجئون<br>واحدة (1) طالبة لجوء |
| طريقة الوصول إلى تونس | ستة (6) جوا<br>أربعة (4) برا (عربات ومشي) |
| عدد سنوات الاستقرار في تونس | من 4 أشهر إلى 15 سنة |
| سنة مغادرة البلد الأصلي | من سنة 2007 إلى سنة 2022 |
| سبب الهجرة | ثلاثة (3) أسباب اقتصادية<br>إثنان (2) بسبب الحرب<br>واحدة (1) بسبب الدراسة<br>إثنان (2) للهجرة إلى أوروبا<br>واحد (1) مشاكل عائلية<br>واحدة (1) بسبب الهوية وللتعبير عن هويتها الجندرية |
| عدد الأشخاص الذين يتقاسمون المبيت | من 3 إلى 7 أشخاص |
| عدد الغرف | صالون+غرفة و صالون+4 غرف |
| ثمن الكراء | من 50دينار إلى 1300 دينار<br>تمكن شخص منهم من الحصول على السكن المجاني |
| العقد | أربعة (4) يملكون عقدا<br>ستة (6) لا يملكون عقدا |
| أفعال تمييزية وصدمات عاشها هؤلاء الأفراد | عشرة (10) عنف جسدي ولفضي<br>ثلاثة (3) عنف اقتصادي (لم يدفع له مقابل عمل أنجزه)<br>ستة (6) عنف جسدي وجنسي |

## II. صفاقس

| | |
|---|---|
| السن | بين 17 و37 سنة<br>معدل العمر هو 25.7 |
| الجنس | خمس (5) نساء<br>ستة (6) رجال |
| الحالة الاجتماعية | سبعة (7) عازبين<br>إثنان (2) متزوجان (بحضور الشريك)<br>إثنان (2) متزوجان وشريكهم وأطفالهم متواجدون في البلد الأصلي |
| عدد الأطفال الذين يعيلونهم | ستة (6) دون أطفال<br>خمسة (5) لديهم أطفال دون 8 سنوات (طفل يبلغ 8 سنوات / إثنان لكل منهما رضيع / واحد لديه طفلين/ واحد لديه 3 أطفال) |
| الدين | سبعة (7) مسلمون<br>أربعة (4) مسيحيون |
| الوضعية الصحية | لم يشتك أحد منهم (11) من أمراض مزمنة أو الأمراض المعقدة |
| حي الإقامة | ثلاثة (3) طريق المطار 3.5 كم<br>واحد (1) طريق منزل شاكر 11كم<br>إثنان (2) طريق تونس 9 كم<br>واحد (1) طريق سيدي منصور 4 كم<br>واحد (1) شعبوني 6 كم<br>إثنان (2) شارع المهدية 10كم<br>واحد (1) طريق قابس 8 كم |
| البلد الأصلي/الجنسية | سبعة (7) من ساحل العاج<br>واحد (1) من غينيا كوناكري<br>واحد (1) من مالي<br>واحد (1) من الجابون<br>واحد (1) من الكامرون |
| البلدان التي مروا بها في الطريق | واحد (1) ليبيا والجزائر<br>عشرة (10) لم يمروا بأي بلد |
| المهنة | واحد (1) يبيع البهارات الإفريقية أمام محلات البقول ويقومون بأعمال تنظيف قبل ذلك |

| | |
|---|---|
| | واحد (1) يقوم بأعمال بستنة وجمع وتنظيف<br>إثنان (2) طالبان<br>واحد (1) يعمل في سوق الملابس المستعملة<br>واحد (1) يعمل في حظيرة الدجاج<br>واحد (1) يقوم بالرسكلة وهو نجار<br>واحد (1) تاجر<br>واحد (1) مساعد في عيادة ويقوم بأعمال تنظيف<br>واحد (1) يقوم بأعمال صغيرة<br>واحد (1) عامل بناء |
| المستوى التعليمي | واحد (1) غير متعلم<br>إثنان (2) تعليم إبتدائي<br>أربعة (4) تعليم ثانوي<br>أربعة (4) مستوى جامعي (3 إجازة و1 ماجستير) |
| الوضع الإداري | أربعة (4) مهاجرون دون مستندات<br>إثنان (2) طالبان<br>أربعة (4) مهاجرين<br>واحد (1) مهاجر يحمل مستندات وبعد ذلك أصبح غير نظامي |
| طريقة الوصول إلى تونس | عشرة (10) جوا<br>واحد (1) برا (عربات ومشيا) |
| عدد سنوات الاستقرار في تونس | بين 5 أشهر و5 سنوات |
| سنة مغادرة البلد الأصلي | من 2017 إلى 2021 |
| سبب الهجرة | ستة (6) بسبب أوروبا<br>إثنان (2) بسبب التعليم العالي<br>إثنان (2) لأسباب إقتصادية<br>واحد (1) مستاء ولكن يمكن أن يعود بسبب العقوبات |
| عدد الأشخاص الذين يتقاسمون المبيت | من 3 إلى 5 أشخاص |
| عدد الغرف | بين صالون+غرفة و صالون +ثلاث غرف |
| ثمن الكراء | بين 150 و 500 دينار |
| العقد | سبعة (7) لا يملكون عقدا<br>أربعة (4) يملكون عقدا |
| أفعال تمييزية وصدمات عاشها هؤلاء الأفراد | البصاق في الطريق، الإهانات ، مطاردات من قبل |

| | |
|---|---|
| | رجال الشرطة، عقوبات، غرامات، إعتداءات طفيفة في إطار العمل أو في علاقة مع المالكين، مشاجرات مع التونسيين، الإعتداءات الجنسية، إلخ.. |

## III. جرجيس

| | |
|---|---|
| السن | بين 16 و44 سنة<br>معدل الأعمار هو 24.8 |
| الجنس | تسعة (9) رجال<br>أربعة (4) نساء |
| الحالة الاجتماعية | ثمانية (8) عازبون<br>خمسة (5) متزوجون |
| عدد الأطفال الذين يعيلونهم | تسعة (9) لا يعيلون أي طفل<br>إثنان (2) لديهم 3 أطفال لاجئين في التشاد<br>واحد (1) لديه طفلة صغيرة<br>واحد (1) لديه طفيلين |
| الدين | خمسة (5) مسيحيون<br>ثمانية (8) مسلمون |
| الوضعية الصحية | يشتكي واحد (1) من العديد من الأمراض المزمنة (ضيق التنفس/ ارتفاع ضغط الدم / أمراض النساء والتوليد)<br>إثني عشر شخصا (12) حالتهم الصحية مستقرة |
| حي الإقامة | ثلاثة (3) في مبيت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (10 دق بالسيارة/ وراء معرض الزيتونة "الغابة الإفريقية")<br>أربعة (4) مدينة جرجيس<br>واحد (1) ملتقى طرق الزيتونة مونسة<br>واحد (1) 4 كم من وسط المدينة<br>أربعة (4) في سويهلي |
| البلد الأصلي/الجنسية | إثنان (2) من السودان<br>أربعة (4) من الكامرون<br>ثلاثة (3) من ساحل العاج<br>ثلاثة (3) من غينيا كونكاري<br>واحد (1) من اريتريا |

| | |
|---|---|
| البلدان التي مروا بها في الطريق | ثلاثة (3) مروا من الكامرون ونيجريا وبعد ذلك من الجزائر<br>إثنان (2) مروا من الجزائر-المغرب-ليبيا<br>ثلاثة (3) لم يمروا من أي بلد<br>واحد (1) مر من مالي والجزائر وليبيا<br>أربعة (4) مروا من ليبيا |
| المهنة | ثمانية (8) عاطلون عن العمل/ يقومون أحيانا بأعمال صغيرة<br>إثنان (2) يشتغلون قي البناء والتبليط و"الأعمال الصغيرة"<br>إثنان (2) يقومون بالتنظيف<br>واحد (1) يعملون في الدهن والبستنة |
| المستوى التعليمي | واحد (1) غير متعلم<br>أربعة (4) تعليم ابتدائي<br>واحد (1) تعليم إسلامي (الكتّاب)<br>خمسة (5) تعليم ثانوي<br>واحد (1) مستوى جامعي<br>واحد (1) تكوين مهني (فندقة، زراعة) |
| الوضع الإداري | ستة (6) لاجئين<br>سبعة (7) مهاجرين غير نظاميين (1 لديه جواز سفر ليبي و 1واحدة قادمة إلى تونس بعد حصولها على عقد ولكنها فرت بعد ذلك) |
| طريقة الوصول إلى تونس | عشرة (10) عن طريق (العربات والمشي)<br>واحد (1) تم انقاذه في البحر من قبل الصيادين<br>إثنان (2) جوا |
| عدد سنوات الاستقرار في تونس | من سنتين إلى خمس سنوات |
| سنة مغادرة البلد الأصلي | بين 2009 و2020 |
| سبب الهجرة | ثلاث (3) فروا من جماعة بوكو حرام<br>ثلاثة (3) لجوء سياسي<br>واحدة (1) بسبب إحتراق البلدة من قبل المتمردين في ساحل العاج<br>إثنان (2) يريدون الذهاب إلى أوروبا<br>أربعة (4) لديهم أهداف إقتصادية |
| عدد الأشخاص الذين يتقاسمون المبيت | من 3 إلى 10 أشخاص |

| | |
|---|---|
| عدد الغرف | بين غرفة و صالون+ثلاث غرف |
| ثمن الكراء | بين 100 و750 دينار<br>خمسة (5) تم إيوائهم في المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين |
| العقد | لا أحد من المشاركين يحمل عقد كراء |
| أفعال تمييزية وصدمات عاشها هؤلاء الأفراد | صعوبات مالية، طرد، بطالة، عنصرية، السجن في ليبيا، إغتصاب جماعي، عنف جسدي ومعنوي، مشاكل في الفواتير والسكن |

الحق في السكن كصراعات أماكن ومجالات وهوامش

مهاجرو جنوب الصحراء في تونس مثالا

01

# ملامح المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس

صناعة الحدود
الحضور الهجري من<<جنوب الصحراء>> في تونس
التمثلات الاجتماعية والثقافية للقادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس
الهجرة على حساب السياسات الدولية والمحلية

## القسم الأول: ملامح المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس

في تونس، أُعيد التعريف بالهجرة –عدة مرات- خلال السنوات الأخيرة وقد اقترنت هذه الظاهرة بتغييرات عديدة في البلاد وفي المنطقة ، مما افضى إلى بزوغ اعتبارات جديدة. في الواقع، تمكنت صورة المهاجرة أو المهاجر الذي يعبر الحدود الجغرافية من متابعة سيرورة التطورات السياسية والإعلامية والاجتماعية التي شهدتها البلاد. فلقد عهدنا بلدان إفريقيا الشمالية بلدانا مصدِّرة للمهاجرين الذين يحلمون بأوروبا أنّى يتسبّبون في <<أزمات >> تخرج عن نطاق السيطرة . فهُم <<الحراقة>>[33] غير النظاميين و<<الزمقيري >>[34] العالقون بين مجتمعين ويجدون صعوبة في الإندماج وفق النموذج الغربي. وهم يشكلون خطرا محتملا ومن الجدير أن يتم إدماجهم أكثر فأكثر عن طريق الخطاب السياسي والإعلامي الأوروبي[35].ومع هذا، باتت تونس أرضا مُضيفة ل<<أفارقة>> آخرين ينتمون إلى دول إفريقية أخرى من <<إفريقيا جنوب الصحراء>> ويتخذون تونس كوجهة لأسباب عديدة[36].ويكون تنقل الأفراد من الجنوب إلى الجنوب وهو ملحوظ ويفرض تعديلات ويضع العديد من النماذج في موضع شك. ففي حين تشتكي أوروبا من <<المغاربة>> الذين يعبرون أراضيها ، يسلك <<أفارقة>> آخرون الأراضي المغربية. وتونس هي دولة مُصدِّرة ومستقبلة للمهاجرين وينجرّ عن ذلك حركات ذهاب وإياب مهمة للغاية. مما يدلّ على تنوع طرق الهجرة التي يتم التفاوض بشأنها في الفضاء الداخلي والخارجي للنماذج التنظيمية القديمة. وإن إعادة تعريف حركات الهجرة في الإقليم يفكك الأحكام المسبقة المترسّخة والتي تؤثر على سياسات الهجرة التي تتبعها البلاد.

إن فهم ظاهرة تواجد المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> إلى تونس –إنطلاقا من الحق في السكن- يُحيلنا إلى تساؤلات تخص حق <<غير المرغوب فيهم>> في البقاء وامتلاك فضاء أو مجال. فبمجرّد أن يعبر المهاجر الحدود يدخل في عملية اختراق وتحديث لحواجز الانتماء الاثني والعرقي والإنقسامات الاجتماعية بين المهاجرين والبلد المُضيف. ومنه، نشهد ظواهر تجسّد الحدود المتغيّرة أو المتحرّكة وتبدو لنا بعض ديناميكيات للقوة التي تُثير حيرتنا.

### I. صناعة الحدود

وفي <<متابعة >> منطقية للديناميكيات والنزاعات المنتشرة بين الأقطاب التي تملك قوات متفاوتة ، نتساءل عن كيفية صناعة الحدود. وبما أن هذه الدراسة تُعنى بالمهاجرين القادمين من

[33] كلمن من أصل مغاربي تعني الشخص الذي يخرق الحدود للذهاب إلى أوروبا، بعد عبور البحر الأبيض المتوسط على متن قوارب مؤقتة.
[34] كلمة ذات دلالة سلبية تعني "مهاجر"
[35] ليليان كوتشينسكي وإيلودي رازي، 2009، "الأنثروبولوجيا والهجرة الإفريقية في فرنسا:علم الأنساب من البحث" ، المجلة الأوروبية للهجرة "أونلاين" ، المجلد.25-رقم 3، - https://doi.org/10.4000/remi.4988 ,n°3.
[36] بوباكري، حسن، 2015، "الهجرة واللجوء في تونس منذ سنة 2011: نحو مهاجرين جدد؟" المجلة الأوروبية للهجرة الدولية 31، ص 17-39، https://doi.org/10.4000/remi.7371.

<<جنوب الصحراء>> إلى تونس ، يجدر أن نخوض في الحدود التي تفصل <<إفريقيا جنوب الصحراء>> و<<إفريقيا الشمالية>> في علاقة مع الحدود الموجودة بين <<أوروبا >> و<<إفريقيا>>.

## 1. تعريف إفريقيا <<جنوب الصحراء>>

لا شك في أن تعريف الهويات الوطنية والهويات العابرة للحدود الوطنية مهم جدا ولكن في المقابل، يجب أن نضع هذا <<التعريف>> موضع شك كي نفهم كيف يتم استخدام الحدود سياسيا وكيف تُشرعِنُ هذه الحدود التمثيلات الاجتماعية وعدم التساوي بين الأطراف المعرَّفة والمتباينة وإن وضع مصطلح <<جنوب الصحراء >> بين قوسين ليس اعتباطيا ولكنه يدل أن هذا المصطلح -رغم استخدامه كثيرا- مُحيّر وغير دقيق ومحمل بدلالات عديدة تاريخيا . وقد صنّف البنك العالمي والأمم المتحدة أغلب الدول الإفريقية على أنها تنتمي إلى <<جنوب الصحراء>> باستثناء الجزائر ومصر وليبيا والسودان والمغرب والصحراء الغربية وتونس[37]. ومع ذلك لم يتم الإجماع على هذا التصنيف دائما ورغم أن جيبوتي توجد في -أسفل ايتريا – والصومال هي ضمن الدول التي لا تنتمي إلى <<جنوب الصحراء الكبرى>> حسب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وحتى إفريقيا الجنوبية لم يتم تصنيفها ضمن <<جنوب الصحراء>> إلا بعد سقوط نظام الفصل العنصري الأبارتيد والتخلّي على مصطلح "إفريقيا الإستوائية" عكس 13 دولة إفريقية من باقي أفريقيا الإستوائية. وبالتالي نلاحظ انعدام الدقة الجغرافية التي تنم على <<عدم وجود نهج علمي>> للمصطلح المُعتمد وأهمية التوزيع العرقي لهذا التخصيص المتغيّر.أ ما بالنسبة إلى الإتحاد الإفريقي فيستخدم مصطلحات تتعلق بالتجمعات الإقتصادية الإقليمية في إفريقيا والاتحاد الجمركي مثل المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا وكوميسا: السوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا و تجمّع دول الساحل والصحراء والجماعة الإنمائية للجنوب الإفريقي واتحاد المغرب العربي[38].وبالتالي نتحدّث عن أسس إيديولوجية وإقتصادية على المحك. وتُخبرنا مسألة الحدود بين <<إفريقيا الشمالية>> و<<إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى>> عن ازدواجية الواقع الجغرافي والتحديات العالمية التي تساهم في التفرقة والوحدة[39].

إذ ظهر مصطلح إفريقيا <<جنوب الصحراء>> في زمن التسلسل الهرمي للأعراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بحيث كانت تسمى المنطقة <<إفريقيا الإستوائية>> أو <<إفريقيا السوداء>> وتجاوز هذا التصنيف الجغرا-سياسي العرق والثقافة والتطور الاقتصادي وله تاريخ اتسم بالتمييز والأحكام الإثنية المسبقة مما يجعل كيانات مختلفة متجانسة ويشتت كيانات أخرى. وهو ما تقدّمت به روزاليد سي موريس لما أكدت أن <<شعار إفريقيا جنوبي الصحراء ضخم جدا وغير مفيد>>. وهي تعارض استخدام وسائل الإعلام الغربية لهذه الكناية التي تدعم الإعتقاد المضلل بأن إفريقيا الشمالية ستكون متطورة ثقافيا أكثر من باقي القارة بفضل الهوية العربية ولأنها وسيط في <<التسلسل الهرمي للعرق البشري>>[40]. وهو ليس الموقف الوحيد المُعادي لهذه التسمية وكانت

---

[37] قسم الإحصائيات في الأمم المتحدة، المناطق الجغرافية، 27 جوان، https://unstats.un.org/unsd/methodology/m49/.

[38] الاتحاد الإفريقي. المجموعات الاقتصادية الاقليمية، Communautés économiques régionales, https://au.int/fr/cers (آخر زيارة 2022/06/30)

[39] ميشال فوشيه. اختراع الحدود. توثيق فرنسي، 1987.

[40] ماكس من هالديفانج. لما لازلنا نستخدم مصطلح "إفريقيا جنوب الصحراء؟" 1 سبتمبر 2016، https://cgt.columbia.edu/news/morris-larkin-still-use-term-sub-saharan-africa/ .

مبادرات عديدة تُطالب بإلغاء استخدام هذا المُصطلح وأطلقت مؤسسة سيليبرايت أفريكا حملة سنة 2010 ضد التمييز بين <<إفريقيا الشمالية>> و<<إفريقيا جنوب الصحراء>>. وقال رئيس المنظمة شيكا أونياني أن هذا المصطلح تم ابتكاره عند انتشار فيروس نقص المناعة البشرية السيدا. وإن استخدام تسمية << تحت >> حيلة لاختزال و تكريس الانقسامات التي لا تعود بالفائدة والتي تغذيها الدوافع العنصرية[41]. ومع ذلك، تمتدّ جذور هذا التصنيف وهي جذور ملموسة وثابتة يصعب اقتلاعها مثلما تمثل الصحراء علامة جغرافية وسياسية وثقافية واجتماعية مهمة بالنسبة إلى البحر الأبيض المتوسط وجبال الهيمالايا كما نرصد تقاربا ثقافيا في بعض الجهات رغم الاختلاف الإثني تتجاوز الممالك ما قبل الاستعمار وأزمة العبودية العربية والأوروبية وحركات الترحال والتبادلات التجارية والماضي الاستعماري المشترك الحدود وتُوحِّد شعوب إفريقيا <<السمراء>> أو <<جنوب الصحراء>>[42].

لا يمكن أن ننفي العنصر العرقي في سياق حركات الهجرة ويهاجر الأفراد من الجنوب إلى الجنوب ناقلين هوياتهم المتنوعة ويفضي ذلك إلى حدوث عملية خضوع (تذويب) سياسي وإن التماثل مع التمثيل الاجتماعي ل<<جنوب الصحراء>> يتم انطلاقا من عملية التفرقة العنصرية ويؤثر هذا التماثل على مستقبل المهاجر وآفاقه وقدراته على التفاوض ويختلف مصير المهاجرين واللاجئين القادمين من <<جنوب الصحراء >> عن مصير المهاجرين واللاجئين السوريين والليبيين الذين يحملون هوية <<عربية>> وعن السودانيين الذين يتخبطون بين العروبة والإفريقية. يمكن أن نعرِّف فريقا – غير متجانس- إنطلاقا من الهوية ولون البشرة وهي تمثيلات ووصمات محددة ومشتركة.

وفي إطار هذه الدراسة، سنسمي هذا الفريق ب<<المهاجرين القادمين من جنوب الصحراء>> وهو اعتماد مستنير للمصطلح انطلاقا من المنظور العلمي المعمول به مع التنبه إلى عدم دقته الجغرافية وفُحش تصنيفه وترسّخه في الإمبريالية الأوروبية.

تجسّد العلاقات بين <<إفريقيا الشمالية>> و<<إفريقيا جنوب الصحراء>> واقع سياسات المهاجرين والتمثيلات الاجتماعية للمهاجر القادم من <<جنوب الصحراء>> . وفي هذا السياق المُتاخم لديناميكيات القوة بين الشمال والجنوب ولاسيما شمال البحر الأبيض المتوسط وغربه تتنافس هويات التونسة والعروبة والإفريقية.

## 2. حدود متحرّكة بين <<الشمال>> و<<الجنوب>>

تتأهب جبهات القوات للخوض في معركة ف<<تخلق حدا>> وبالتالي نتحدّث عن تشكيل قتالي وفعل عنيف. وإن مسألة الحدود تمثل قضية مهمة بالنسبة للمجتمعات المعاصرة المشحونة بالماضي اللإستعماري والبعد العنصري المهم والنزاعات الإيديولوجية والتجاوزات الإدارية وحدود

[41] جيمس بوتي. شن حملة لإسقاط العبارة الإفريقية "جنوب الصحراء"، 19 سبتمبر 2010، https://www.voanews.com/a/butty-sub-saharan-africa-campaign-onyeani-20september10-103260644/155853.html

[42] فرنسوا كزافييه فوفيل أيمار، "ولادى أمة سوداء" الإنسان "أونلاين" ، 161، جانفي مارس 2002، وضع على الإنترنت يوم 6 جوان 2007، تمت القراءة يوم 1 ماي 2019. DOI : 10.4000/lhomme.140 ; URL : http:// journals.openedition.org/lhomme/140

الترحاب. أما بالنسبة إلى المهاجرين ، فيتعلّق الأمر بتجاوز الحدود الجغرافية الموضوعة. وتُبلّغنا تجارب اللجوء عن علاقات القوة الجلية التي ترافق تجربة الحدود.

وجدت الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي سبيلا لنقل سياسات الهجرة واللجوء السياسي موظّفة حكومات ومؤسسات الجنوب والبحر الأبيض المتوسط وذلك سعيا لتصدير حدودها عبر ابرام اتفاقيات حكومية عصيّة على رفض دول الجنوب والمراقبة البحرية لمنع القوارب غير النظامية من العبور ولإخلاء المهاجرين صوب الحدود الليبية ومحاولات إقامة أماكن احتجاز في بلدان الجنوب[43].ومع اندلاع الثورة التونسية 2010-2011 ، شهدنا تحولا للأطراف الفاعلة على الحدود والتي كانت –في عهد بن علي- تحتكرها الدولة .وتُعوّل اليوم سياسات تصدير الحدود على جمعيات المجتمع المدني والمؤسسات الإنسانية[44].وكي تقي القلعة الأوروبية نفسها تستعمل دول الجنوب كحاجز وتصنع – ببناء وتعزيز حواجزها- حدودا جديدة بين دول الجنوب.

إن الفئة غير المرغوب فيها في أوروبا هم »الآخر« الذي يتم إلغاؤه وإقصائه بسبب خطورته وعدم نفعه. وتمثل هذه الفئة فريقا متعدد الإثنيات وثريا على مستوى الهويات. إن فئة غير المرغوب فيهم في تونس كبيرة ومتنوعة حتى اذا كان أغلبها من القادمين من<<جنوب الصحراء>> . وإن ممارسات الإقصاء في المناطق المجردة والمهجورة والمقصية والإستبعاد والتهميش والحبس تشبه السياسات والممارسات الأوروبية في حق المهاجرين في الجنوب العالمي. وبالتالي تصبح الصحراء خطا جديدا فاصلا كما المتوسط و يتم خلق حدود جديدة وتشكليها لصالح قوة مهيمنة معيّنة مدمرة لإفريقيا والمهاجرين في بلدان المغرب والذين يتربّص بهم خطر محقق وهشاشة عميقة [45].فكيف لنا أن نفكر في تواجد القادمين من جنوب الصحراء إلى تونس في هذا السياق ؟ كيف يمكن أن نصف تنوع المهاجرين ومساراتهم وأهدافهم من الاستقرار الوقتي أو المُطوّل في تونس والحال أن البلاد تتّبع سياسة <<التقسيم >> الأوروبي؟

## II. الحضور الهجري من<<جنوب الصحراء>> في تونس

### 1. عناصر تاريخية

تتم الهجرة ما إن شعر الأشخاص بالحاجة إلى التنقل وهو كان حق موضوع بيان من القانون الدولي وتمت ترجمته في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948[46]. ولكن لا يمنح هذا الحق أحيانا للأشخاص الذين يرغبون في التمتع به ويكون ذلك لأسباب تعسّفية أحيانا و/أو تتعلق بالهوية[47].

[43] لورا كميل سير. "الإعادة القسرية بكفالة": تأثير سياسات الاتحاد الأوروبي لتصدير الحدود على معاملة النساء المهاجرات في تونس، 2022، https://ftdes.net/refoulement-par-procuration-limpact-des-politiques-dexternalisation-des-frontieres-de-lue-sur-les-migrantes-victimes-de-traite-en-tunisie/

[44] ديني وسابين وكاترينا جيوسا. تصدير حوكمة الهجرة من خلال المجتمع المدني.نشر سبرانغ أنتارناشيونال، 2020

[45] بن سعد، علي. "التهجير من الحدود إلى الجنوب"، مجلة المشروع، المجلد.302، عدد. 1 ، 2008، صص. 50-55.

[46] الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المادة 13، 1948

[47] مايي، ميشال."حالة الحق في التنقل"، الهجرات المجتمع، المجلد. 121، عدد. 1، 2009، صص.89-104.

وتبرهن حقائق الهجرة المعاصرة الصعوبات التي يلقاها الأفراد إذا ما أبدوا رغبتهم في التنقل ويؤكد تواجدهم في أقاليم مختلفة بالبيّنة حتمية التنقّل. وبعيدا عن التنقيب على سببية وجود المهاجرين القادمين من جنوب الصحراء في تونس، لا تمثل العناصر التاريخية –المعروضة أدناه- سوى محاولة لفهم سبب وجود المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> إلى تونس على اختلاف خلفياتهم من موظفين مؤهلين وطلبة ولاجئين ومهاجرين غير نظاميين.

أ. هجرة الموظفين المؤهلين: مثال المهنيين في البنك الإفريقي للتنمية

اضطرمت حرب أهلية في ساحل العاج في سنة 2003 عندما احتلّت القوات الجديدة لساحل العاج نصف البلاد. فتحوّل مقر البنك الإفريقي للتنمية نتيجة الأزمة السياسية والعسكرية إلى تونس بين سنة 2003 وسنة 2014 وتحوّل عدد مهم من الموظفين –أغلبهم من ساحل العاج والسنغال- إلى تونس رفقة أسرهم ومساعديهم (عمال تنظيف وطبخ وسائقين وحلاقين وحراس، إلخ)[48].وصل إلى البلاد التونسية ما يناهز ألف موظف مؤهل و800 مرافق وتم إسكانهم في أحياء الطبقات المتوسطة والطبقات الراقية في تونس مثل النصر والمنزه والمنار والمرسى والعمران الأعلى وأريانة[49]. ولم يخل استقرارهم في البلد المضيف من تبعات اجتماعية وإقتصادية اذ ''سيخالط التونسيون لأول مرة <<أجانب سود وأغنياء في نفس الوقت>>'' [50] وفق تصريح مدير قسم الموارد البشرية في البنك الإفريقي للتنمية. وهكذا تبادرت للأذهان تساؤلات بشأن تمثلية <<المهاجر الجيد>> التي أصبحت تُدرج القادمين من <<جنوب الصحراء الإفريقية>> في القائمة . فضلا عن ذلك، تجلّت علامات الثراء مغيّرة مسار الأحكام المسبقة الإثنية والعرقية وبات التونسيون يقرنون الأجانب السود بصورة لامعة للثراء على نقيض صورة التونسيين السود في بعض الأحيان وتعلّق الأمر كذلك بتضخم أسعار السكن في الأحياء الميسورة في تونس وفتح محلات تجارية تشيد بثقافة <<جنوب الصحراء>> (مطاعم، حلاقة، الفن الراقي والأغذية) . وعزز ذلك حضور الأشخاص القادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس وجعل تونس منفتحة أكثر على باقي إفريقيا.

في المقابل، اقترن هذا التواجد بممارسات عنصرية تستهدف هذه الفئة الجديدة. فكنت تسمع كلاما عنصريا يُقال علنا في الشارع التونسي وفي المدارس. وانتاب الموظفين المؤهلين شعور بأنهم خضعوا للهجرة إلى تونس وأُخضعوا إلى ضرب من ضروب ما يُسمى بالمؤقت المستمر. وبما أن الثقافات مختلفة مع ثقافة التونسيين ، اضطر البنك الإفريقي للتنمية استدعاء فريقا كاملا من من العمال الأجانب (أغلبهم من ساحل العاج والسنغال ومالي وبوركينا فسو). وأسفر وجود من العمال الذين في وضعية هشة بالأساس وتحت رقابة الأسر التي يخدمها أحيانا عن ديناميكيات جديدة[51]. استقرت هذه الفئة فور قدومها الى تونس في الأحياء الشعبية المُتاخمة للأحياء الميسورة أين يعيش

[48] نصراوي، مصطفى. "واجه العمال المهاجرون القادمون من جنوب الصحراء في تونس قيودا تشريعية على توظيف الأجانب". المجلة الأوروبية للهجرة الدولية 33.4 (2017): 159-178.

[49] بوبكري، حسن، سالفي مازيلا." تونس بين العبور والهجرة: سياسات الهجرة وظروف استقبال المهاجرين الأفرقة في تونس"، في مكان آخر، المجلد. 36، لا.4، 2005، ص. 149-165.

[50] مازيلا سالفي. " أقلية مرئية: الموظفون الكوادر من البنك الإفريقي للتنمية" في س. بوسيل(دير)، السود أو المغرب. قضية الهوية، باريسن إرمك-كارتالا،2012.

[51] بوسيل ستيفاني " العنصرية والعالمية في المنطقة المغاربية: إنشاء البنك الإفريقي للتنمية في تونس وتجديد النظرة إلى الآخر". العلوم المغاربية والاجتماعية (2013): 167-185.

المشغلون. ووضعت الصعوبات المالية والاجتماعية التي تلقاها هذه الفئة افرادها موضع احكام اخلاقية من قبل الجار التونسي الذي يمقت وجود هذه الثقافة المختلفة والتي لا تتمتع بامتيازات اقتصادية كبيرة. وبعد عودة مقر البنك الإفريقي للتنمية الى أبيدجان سنة 2014 فضّل بعض العاملين البقاء في تونس ودعوا معارفهم للقدوم إلى تونس فأسهموا في تشكيل شبكة هجرة مهمة[52].

ب. الهجرة للدراسة : التعاون الدولي والجامعات الحرة

من بين المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> والمقيمين في تونس ، نذكر الطلاب والطلبة في الجامعات والتكوين المهني ويتواجد المنتفعون بمنحة التعاون العلمي بين الدول في تونس منذ السبعينات وهم يتمتعون بمنح مقدمة في إطار التعاون والاتفاقيات المبرمة بين الدول الإفريقية. فمثلما يتسنّى للتونسيين مواصلة تعليمهم العالي في الطب والهندسة في بلدان إفريقية (السنغال ، المغرب، الجزائر ، موريتانيا ، إلخ) ، يمكن للطلبة القادمين من مختلف البلدان الأفريقية أن يستقروا في تونس وأن يواصلوا تعليمهم العالي في هذا البلد وهم يختارون تونس لأسباب عديدة مهنية وأكاديمية وعائلية ومن المجالات التي يفضلونها نذكر الطب وعلوم الإعلامية والدراسات الهندسية والعلوم السياسية أي المجالات المطلوبة في الأسواق و <<القيمة>> حسب المعايير الاجتماعية[53]. وبوجودهم في تونس لديهم مساهمة في إقتصاد البلاد بفضل النفقات اليومية ودفعهم الرسوم الدراسية وتكاليف السكن[54]. يمثل الطلبة القادمون من <<جنوب الصحراء>> 80 ٪ من مجموع الطلبة الأجانب الموجودون وتُرجم هذا الحضور بضرورة الترحيب بهم وتقديم التكوين الذي يطلبونه.

وسرعان ما استولت العاصمة وتفردت بهذه الحاجة وقد شهدنا في بضع سنوات افتتاح أكثر من ستين مؤسسة جامعية خاصة في مدن تونس وصفاقس وسوسة والتي هدفت إلى استقطاب الطلاب القادمين من إفريقيا <<جنوب الصحراء الفرنكفونية. مما جعل العديد من الطلاب القادمين من <<جنوب الصحراء>> يستقرون في هذه المدن لأسباب عديدة كسهولة الإستقرار في تونس عكس البلدان الأوروبية التي تفرض الالتجاء إلى هيئة وسيطة (مثل كونبوس فرنس) ولأن باقي الدول الإفريقية لها تصور جيد على تونس وكذلك بسبب مجهودات الإنتداب التي تبذلها الجامعات الحرة[55].

[52] كاساريني، كاميي." هجرة جنوب الصحراء في تونس: من الاعتراف بحقيقة اجتماعية إلى خلق تحد إداري"، المجلد.179، الهجرة والمجتمع، لا.1، 2020، ص.43-57.

[53] سيلفي مازالا. الطلاب الأفارقة في الجامعات التونسية الخاصة : الطالب الجديد "الدولي". سيلفي مازيلا. العولمة الطلابية. المغرب بين الشمال والجنوب، صص. 327-347، 2009.فهال -01222221ف

[54] المنظمة الدولية للهجرة وتار دازيل في تونس. توقعات ورضا الطلاب القادمون من جنوب الصحراء في تونس: الفرص التي تلوح في الآفاق، 2018، http://www.migration.nat.tn/fr/publications/etudes-et-recherche/ attentes et satisfactions des etudiants subsahariens tat-pdf

[55] بوباكري، حسن، النساء والهجرة في تونس، مركز سياسة الهجرة، كريم الجنوب، ملاحظات تحليلية وتركيبية لكريم ، 2017/17 ، نوعية الجنس والهجرة http://hdl.handle.net/1814/15614

وقد ناضل مؤسسو الجامعات الحرة كي تكون تونس وجهة طلابية وناشدو أحسن استقبال وشجبوا الممارسات العنصرية ( الممنهجة والفردية) [56].

ومع ذلك انخفض عدد الطلاب من 12000 إلى 7000 طالب بين سنة 2010 وسنة 2020. ومن أسباب هذا التراجع ، الصعوبات الإدارية والممارسات العنصرية والإعتداءات (من التجريح في الأماكن العامة إلى الاغتصاب) والحواجز اللغوية والتمييز ومداهمات البوليس والصعوبات القانونية للحصول على تصريح إقامة. كما أن الجهود التي تبذلها المغرب وإفريقيا الجنوبية لجذب الطلاب الأجانب والحوافز التي تقدمها تدفعهم إلى مسارات جديدة[57].

عزّز تدويل التعليم العالي وعروض الجامعات الحرة حضور المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس وتمت إضافة هذا النوع من المهاجرين مع الموظفين المؤهلين في البنك الإفريقي للتنمية لتكوين هجرة النخبة في تونس. ولكن تباطئ الإجراءات الإدارية وصعوبة التأقلم مع السياق التونسي أسفرت عن وجود نوع آخر من المهاجرين المستضعفين والذين سيعانون من التمييز بطبيعة الحال.

ج. الأزمة في ليبيا محرك للهجرة

إن الأزمات وحركات التنقل تكون أحيانا مرتبطة ، أي أن الاضطراب في منطقة معينة يمكن أن يزعزع استقرار الحدود ويدفع الأشخاص إلى خرقها وبهذا دفعت الحرب الليبية العديد من الأشخاص القادمين من <<جنوب الصحراء>> إلى محاولة الوصول إلى أوروبا مرورا بتونس. وفي سنة 2011 أدت الإطاحة بحكم محمد معمر القذافي والحرب التي شُنّت في ليبيا إلى زعزعة استقرار المنطقة وعجّلت حركات الهجرة.

عمّت الفوضى في ليبيا فقدم العديد من المهاجرين من بلدان مختلفة (النيجر والسودان وإيرتريا والكامرون ، إلخ) الفارين من النزاعات والاضطهاد والفقر في بلدانهم الأصلية وكانوا يصبون إلى إيجاد مسار من البحر الأبيض المتوسط للوصول إلى أوروبا أو كانوا يريدون الفرار فقط وتعرّض هؤلاء المهاجرين في الطريق إلى انتهاكات عديدة. وسُلّط عليهم العنف الإنساني في مخيمات الاحتجاز القسري الليبية : ظروف لا تحتمل في الزنزانات ووحشية رجال الشرطة والعمل القسري في مواقع البناء والاغتصاب والمهانة، إلخ[58].ولقد قدموا بغتة وبطريقة غير متوقعة ولقد ضاعفت الدولة التونسية مجهوداتها للتحكم في هذا السيل من الهاجرين. إذ احتشد آلاف اللاجئين في مخيمات <<العبور>> في ظروف قاسية على بعد بضع الكيلومترات من الحدود الليبية ومنها مخيم

[56] محمود التريكي. طلاب غرب إفريقيا: تونس في الصفحة الأولى لصحيفة لوموند، 28 فيفري 2022، https://bit.ly/3EgnKJv

[57] ريش ومرسي كوربس "تونس": بلد الوجهة والعبور للمهاجرين القادمين من جنوب الصحراء، أكتوبر 2018، https://www.mercycorps.org/sites/default/files/2020-01/Tunisia_country_of_destination_and_transit_for_sub-saharan_migrants.pdf

[58] رمضاني، مسعود " وضع المهاجرين القادمين من جنوب الصحراء في تونس. مثال على مخيم الشوشة وإنشاء بؤرة في ليبيا"، 1328. المجلد، البشروالهجرات، لا.1، 2020، ص.53-57.

<<الشوشة>> الذي استقطب حوالي 15 ألف شخص[59]. وأغلقت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين هذا المخيم سنة 2013 بعد تنفيذ برامج المساعدة على العودة الطوعية وإعادة الإدماج الذي نظمته الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي.

ومع ذلك، رفض العديد من المهاجرين المغادرة وظلوا في الصحراء يقاومون ظروف وحشية[60]. وحاولوا تخطي الظروف الصعبة من خلال مراكز الإيواء ودور الشباب . ويترقب العديد الحصول على طلبات لجوئهم وآخرون عبروا تونس للوصول إلى أوروبا مارين بطرق محفوفة بالمخاطر. يقوم البعض بنشاطات مهنية هشة وينتظر آخرون يائسين أو يتم ترحيلهم للحدود المحفوفة بالمخاطر. وأفرز هذا السياق حركة المهربين الذين يغتنمون فرصة التعزيز الأمني للزيادة في أسعارهم . كما يستثمر الحراقة ورجال المافيا[61] في سوق الحدود بين ليبيا وتونس وتطور الوضع السياسي في تونس وتواصل عبور المهاجرين من تونس والاستقرار فيها متحيينين فرصة الهروب إلى أوروبا أو الاستقرار المحتمل. ويجدر أن نذكر أن العديد من الأشخاص الذين جرت مقابلتهم ربطوا بين الوضع السياسي في ليبيا ومسار هجرتهم ، إذ مروا بالسجون الليبية أين تعرّضوا للاغتصاب والاعتداء وارتعدت فرائصهم لما عاشوه واحتجز بعضهم كرهائن وأجبروا على دفع فدية وأشار البعض الآخر إلى سوء المعاملة التي كانت تشبه معاملة العبيد وتم اغتيال أقاربهم من قبل السلطات الليبية ويربط هؤلاء الأشخاص هذه التجربة المؤلمة بالمشقة التي يعيشونها الآن باستمرار على التراب التونسي[62].

وأدت الأزمة الليبية إلى وصول فئة من المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> والمعرضين للخطر على مستويات عديدة ( اجتماعية -اقتصادية -سياسية -نفسية) ويضطر الأشخاص الذين يفتقرون إلى الموارد المالية إلى عبور الحدود بطريقة أخرى عوض السفر جوا ولا يخفى الجميع أن هذا المسار وعر وخطير ويضطر الآلاف على تقفي هذا المسار كل عام للقدوم إلى تونس.

## 2. تنوع المهاجرين

لا يتميز المهاجرون القادمون من <<جنوب الصحراء>> بتنوع دروبهم واختلاف هوياتهم وتعدد أسباب هجرتهم فحسب . إن هذه المجموعة أبعد من أن تكون متجانسة في تكونها . وتتشكل مجموعات فرعية عن فئة المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> التي تختلف مساراتها ومصيرها . يعمل الوضع الإداري كمكون أساسي مهم للغاية على التمييز بين أعضاء المجموعة وفهم خصوصيات تجاربها ويتّسع الحقل المعجمي ليصف هؤلاء الأفراد ب: المهاجرين والنازحين

[59] سيماد، جاديم، تحديات على حدود تونس، تقرير المهمة، ماي 2011.
[60] فيكن شتيريان، " في تونس، مع من تركوا الحرب في ليبيا"، لوموند ديبلوماتيك، جوان 2012.
[61] المهربون
[62] موروني، أنطونيوإم، وأوليفييه فافيير." الهجرة الإفريقية في ليبيا ما بعد 2014: الحرب والأزمة الاقتصادية وسياسات الاحتواء"، الهجرات والمجتمع، المجلد. 179، لا. 1، 2020، ص. 29-42.

والمنفيين واللاجئين وطالبي اللجوء والمرفوضين ودون مستندات والمهاجرين غير النظاميين والمحتفظ بهم والذين تمت إعادتهم إعادة قسرية والمطرودين والعائدين إلى أوطانهم ،إلخ. ويدل التنوع المعجمي على تنوع هذه الفئة واختلاف وضعها و مدى تأثيره على المسيطر والمسيطر عليه.

أ. المهاجرون غير النظاميين والمهاجرون <<النظاميين>>

تحول الإقامة غير النظامية دون تمكين الأفراد من حياة كريمة في البلد المُضيف وينتج عنها أضرارا على حياة المهاجرين في مجالات عديدة مثل العمل والسكن والصحة والتنشئة الاجتماعية في العموم وفي أغلب الأحيان يصور الأفراد ضحايا العمل والسكن <<غير القانونيين>> شبكات سرية تتيح لهم وظائف غالبا ما تكون محفوفة بالمخاطر (عدة وظائف في نفس الوقت والعمل دون عقود والتهديد بالطرد والتهديد بعدم الدفع ووضعية التبعية للمشغلين وللشبكة).ويتم الحصول على المسكن بنفس المنطق. وتجد هذه الفئة نفسها مجبرة على قبول ديناميكيات هيمنة عديدة عندما تجد مالكين يقبلون أن يأجروا منازلهم لأشخاص دون أوراق تثبت هويتهم. فتكون هذه الفئة طريدة للخيار الذي يُفرض عليهم[63].

ووفق دراسة أجرتها مؤسسة تار دازيل سنة 2016 : حوالي 78 ٪ من المهاجرين غير النظاميين المتواجدين حاليا في تونس أصلهم من جنوب الصحراء. ويتردد صدى الهجرة غير النظامية مع الوصمة الاجتماعية الخانقة وفضلا عن صعوبة إتاحة الخدمات العامة يُجبر الأشخاص الذين يعيشون في هذه الوضعية على "العيش تحت التهديد"[64] والتعرّض لاضطهاد الدولة مثل الغرامات المالية أو الإخلاء في الحدود.

تصبح الإقامة غير نظامية بالنسبة إلى البعض في بداية الرحلة وبالنسبة للبعض الآخر عند عبور الحدود بدون تأشيرة ، ويعدّ آخرون أن صلاحية الإقامة تنتهي عندما يكونوا في تونس فعليا. وغالبا ما تكون عملية تسوية الأوضاع قانونيا محفوفة بالمخاطر ويجد العديد من المهاجرين الذين قدموا إلى البلاد أنفسهم في وضع غير قانوني لأنهم عاجزين على دفع الرسوم وسعيا لتسوية أوضاعهم في تونس يُرغمون على دفع رسوم باهظة لا تكون بحوزتهم بسبب الضعف الاقتصادي والاجتماعي الذي يتمكّن بهم.

ويختلف مصير المهاجرين غير النظاميين أو دون أوراق عن مصير المهاجرين الذين يجدون أنفسهم في وضعية غير نظامية وتتعرّض أكثر الفئات المستضعفة للمظالم والتمييز وفي نفس الوقت، يكون لهؤلاء المهاجرين غير النظاميين ذات بديلة معترف بها مؤسسيا وأمنيا وإنسانيا ويتم تصنيف هذه الأفراد –حسب معايير المراقبة والمساعدة- أنواع الشخصيات المتباينة والأصوات والخطابات التي تتم صياغتها بوضوح.

[63] فيريه وناتالي وفيولين كاريل. " عمال غير نظاميين أو آليات غير نظامية؟" ، الحق الكامل، المجلد.119، عدد. 4، 2018، صص.8-11.
[64] كورون ، لوستيفان.محاولة. العيش في خطر: الذين لا يحملون أوراقا والدولة. باريس في القرن التاسع عشر: إصدارات دوسيول، 2022.

ب. اللاجئون ، طالبو اللجوء والمرفوضون (الذين رُفض طلب لجوئهم)

لقد كانت اتفاقية جنيف للأمم المتحدة لسنة 1951 وسيلة للتعريف بصفة لاجئ عالميا وكان ذلك وقت تفعيل نشاط المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين التي كانت بمثابة <<صمام الأمان>> في اتفاقية سنة 1951 وبروتوكول سنة 1967 . وتم تقديم هذه الهيئة لضمان الحماية الجسدية والقانونية للاجئين وكانت المهمة الرئيسية المناطة عليها الحرص على احترام حقوق الإنسان للذين انتهكت حقوقهم في بلدهم الأصلي.

وكان إنشاء الاتفاقية والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين -الذي من المفترض أن يبعث رسالة عالمية للحماية والمساعدة لجميع أصقاع العالم- مرتبطا بسياق الحرب الباردة. وكانت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وسيلة الغرب لاستعادة "ضحايا الشيوعية الجيدين" من خلال معارضة العالم الغربي "الحر" والشق الشيوعي "المضطهد". وهلّت الرسالة العالمية -الحماية والمساعدة لم تعد تشمل الأوروبيين فقط- وانتشرت عبر أعمال هذه الهيئة.

قدمت اتفاقية سنة 1951 وبروتوكول سنة 1967 قانونا يحمي الأشخاص المهجرين من خلال تحديد وضع اللاجئين وحقوقهم. ومن بين الدول التي وقّعت وصادقت على الاتفاقية وبروتوكولها الدولة التونسية وهي مُلزمة بضمان مجموعة من الحقوق للاجئين المقيمين في أراضيها ومن بين هذه الحقوق التي يجب احترامها : المادة 21 التي تضمن الحق في السكن اللائق[65].

في الواقع، حسب اتفاقية جنيف سنة 1951، اللاجئ هو الشخص الذي أُرغِمَ على مغادرة بلده للفرار من الاضطهاد الحالي والفردي والمبرر على أساس العرق والجنسية والأفكار السياسية والدينية أو الانتماء إلى جماعة اجتماعية معينة . يجد الشخص المضطهد نفسه خارج البلد الذي يحمل جنسيته ولم يعد قادرا على طلب الحماية من بلده فيكون له الحق في طلب اللجوء في البلد المُضيف. يحق للاجئين طلب الحماية والمساعدة من دولة من 145 دولة صادقت على الاتفاقية والتي يتواجدون فيها. وبعد منحهم صفة لاجئ تعتزم المفوضية إما إعادة توطينهم أو إعادة إدماجهم على عين المكان أو إعادة استقرارهم في بلد ثالث (وهو ليس البلد المنشأ أو البلد المُضيف). ورغم وقائع الاضطهاد التي تم وصفها وإثباتها بالأدلة ، فإن عددا من طالبي اللجوء يصفون فشل إجراءاتهم مما جعلهم في وضعية غير نظامية ومهددين بالإعادة القسرية. إذ لا تُمنح صفة لاجئ إلا ل10 ٪ من طالبي اللجوء (1 ٪ في بعض البلدان) منذ الألفينات. في المقابل، لايزال عدد اللاجئين كبيرا ويصل إلى 21.3 مليون في العالم بالمعنى الضيق. ولا يعكس هذا الرقم تقريبا حتى واقع المنفيين الذين لم يتم الإعلان عنهم كلاجئين وهم يجوبون البلاد بصفة مهاجرين غير نظاميين وذلك بسبب الصعوبات التي تطرأ مع عملية منح اللقب التي تختلف من بلد إلى آخر. واستقبح عدد مهم من الأشخاص الأوضاع الرديئة في المخيمات وسوء المعاملة مُعرضين عن الإستقرار فيها. وهم يفضلون أن يخوضوا غمار الهجرة غير النظامية والإقتصاد غير النظامي مثلما قرر زوجان بسطنا عليها مجموعة من الأسئلة في المقابلة وعلمنا أنهما فرا من جماعة بوكو حرام في الكامرون وقررا المغادرة للإستقرار بشكل

[65] المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤو اللاجئين، الاتفاقية والبرتوكول المتعلق بوضع اللاجئين، المادة 21، 1967، https://www.unhcr.org/fr/4b14f4a62

مستقل بالقيام بأشغال مضاعفة وبالمقاومة يوميا. وتم تنفيذ هذا القرار القاسي بعد سنوات من انتظار إعادة استقرارهم في بلد ثالث بحجة التمييز العنصري الذي يعيشونه والذي يشهد أنهم لم يقلوا أمنهم في تونس. ويجعل الإنحراف الأمني كما يصفه جان إيف كارلييه طالب اللجوء كالمحتال المشتبه به[66].في حين أن الأسباب الرئيسية للنفي هي الهروب من النزاعات والإعتداءات على الحريات الأساسية ، يجد طالبي اللجوء أنفسهم أمام تحديات جديدة وصراعات جديدة ومكبّلة. وينجر عن عدم الإعتراف باللاجئين وطالبي اللجوء تشكيل فئة جديدة من "المرفوضين" أو الأشخاص الذين رغم حصولهم على تصريح (حوالي 70 ٪ من المتقدمين سنة 2019) لا يتمتعون سوى بالقليل من الحقوق في تونس بسبب عدم إطار قانوني للجوء في تونس. وتقوم المفوضية في تونس كما في أي مكان آخر ب"المناولة" أي الاستعانة بمنظمات غير حكومية متعاقدة معها عند القيام بمهامها. ويضطلع المجلس التونسي للاجئين بمهمة تسجيل طلبات اللجوء. ويحق للأشخاص التمتع بالرعاية الطبية وبالقسائم البريدية بعد التسجيل (قد تستغرق المواعد شهورا). ورغم أن احتمال إعادة استقراهم ضئيل (نجح 76 لاجئا فقط من مغادرة تونس للإستقرار في بلد ثالث من بين 9703 لاجىء وطالب لجوء[67])، يعتبر التسجيل والحصول على بطاقة طالب لجوء أمرا ضروريا بغية تجنب الاعتقالات والترحيل وتجرى بعد ذلك –عادة بعد مدة طويلة- مقابلات تحديد وضع اللاجئين ويتم أثنائها تسجيل العديد من الشكاوي. ومن بينها نذكر: انتهاك سرية التبادلات والتفسير المتحيّز لفئة دون أخرى وتفقّد طلبات معينة حسب الجنسية ( طالبي اللجوء الذين قدموا من السودان و إيريتريا[68]هم الأكثر نجاحا).

وبالتالي، مهّدت وظيفة الحماية التي تنافح عنها المفوضية الطريق لممارسات المراقبة التي يبدو أنها استبدادية[69].

تتم مراقبة اللجوء بالتوازي مع إدارة البشر ويبدو أن هذه المراقبة ليست فعالة جدا لأنها عاجزة على الفرز بين الأشخاص بشكل عادل. تعتمد المؤسسة سلسلة من رفض غير المرغوب فيهم الذين ستتم إعادتهم بدلا من معاملتهم معاملة عادلة وحمايتهم، فلا تكترث إلى مخاطر إعادتهم إلى أوطانهم الأصلية أو دفعهم لواجهة الموت على الحدود أو جعلهم يترقبون إلى أجل غير مسمى في بلدان مؤهلة بعض الشيء لاستقبالهم[70]. وهنا يصبغ العمل الجماعي بالسياسة أي لما يتدخل المعمّرون في المباني السكنية في الفضاء العام للمطالبة بحقوقهم الاقتصادية والاجتماعية فتحاك أواصل التضامن المُقاومة للعنف الاستبدادي الذي تسلطه المؤسسات على الأفراد ومن ثمة تحيك عمليات التهجير والإستبعاد والفاعلية نسيج المجتمع. وإنها مسألة " مجتمع وجودي يقوم على الخبرة المشتركة والوضع المعيشي ويجمع الحشود المجهولة في تاريخ ولد من رحم تمزقات عنيفة ثم من

[66] كارليه، جان إيف. مامعنى لاجىء؟، بروليون، بروكسل، بلجيكيا، 1998.
[67] تحديث اجراءات المفوضية في تونس، https://data.unhcr.org/fr/country/tun ، 31 ماي 2022
[68] المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، ميغروغروب. سياسات عدم الاستقبال في تونس للجهات الفاعلة التي تخدم السياسات الأمنية الأوروبية،2020، https://ftdes.net/politiques-du-non-accueil-en-tunisie .
[69] أجير، ميسال. التعامل مع غير المرغوب فيهم. مخيمات اللاجئين من الحكومة الإنسانية.فلاماريون، 2010.
[70] لاتوش، أليس."تم إصلاحهم والعناية بهم....طردهم" ، حق كامل ، المجلد، 116، عدد.1، 2018، صص.36-39.

فئة هوية إدارية (لاجئون ونازحون ومهاجرون غير نظاميين وطالبو لجوء، إلخ) أخيرا في معاملة أمنية وإنسانية منفصلة [71]"

إن تواجد مهاجرين قادمين من "جنوب الصحراء" متعدد في تونس . وإن تنوع طرق القدوم والدروب والأشخاص يتضمن تمثيلا اجتماعيا وثقافيا لهذه المجموعة والذي تم تشييده حسب التقدم التاريخي ومدخلات وسائل الإعلام والتقلبات الاقتصادية والدوافع السياسية. وسنحاول في ما يلي مناقشة بعض العناصر المفسّرة للتمثيل الاجتماعي والثقافي لهذه المجموعة غير المتجانسة والخاصة.

## III. التمثّلات الاجتماعية والثقافية للقادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس

### 1. مسألة العنصرية

يؤدي التفقير والتهميش والهشاشة إلى اعتبار بيو-سياسي لل<<الشعوب>> دون إسم والتي لا نتعامل معها سوى من زاوية حياتها المجردة. ومنه فإن عملية "صنع الآخر" تتم بالتوازي مع المشاكل التي تهدد المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> [72]وخاصة الذين في وضعية سرية هشة. يُحيل مكانة وتمثيل الآخر في هذه الحالة إلى تصورات الذات والتجربة الشخصية. ففي الواقع، تجارب التعرض إلى العنصرية متعددة ولا يقتصر الأمر على المهاجرين غير النظاميين أو اللاجئين غير المستقرين فحسب بل هي عامة وتطال المهاجرين السود بالكامل والتونسيين السود أيضا . ويدل المعجم الثري من المصطلحات على الصورة التي يلونها العديد من التونسيين عن السود سواء كانوا تونسيين أو قادمين من <<جنوب الصحراء>> مثل "كحلوش/كحلوشة" لتلخيص هوية الشخص في لون بشرته وفي السياقات التي تختص بالعداء والعنف ، تستعمل مصطلحات مثل "قرد" و "قيرة قيرة" وهي تشير إلى القردة ومصطلحات تشير إلى ماضي العبيد مثل " وصيف" و"شوشان" التي تعني حرفيا " العبد" و"الخادم" وهي مستوحاة من تاريخ تجارة العبيد بين العرب والبربر والتي بدأت في القرن السابع ميلادي لذا يبدو أن ماضي العبودية قد ظل متجذرا في عنصرية الحياة اليومية المعاصرة[73]. وهو ما يطرحه إيريك ويليامز في كتابة "الرأسمالية والعبودية" مشيرا إلى أن العبودية لم تولد من العنصرية ، بل كانت العنصرية نتيجة للعبودية"[74]. في أغلب الأحيان، يستخدم التونسيون مصطلح "إفريكيين" الذي يعني "الأفارقة" عند وصف المهاجرين القادمين من <<جنوب إفريقيا>> ويدل ذلك على انكار افريقيتهم وتصور حدود بين شمال إفريقيا وإفريقيا <<جنوب الصحراء>>. ويتغذى ماضي العبودية والهوية المبنية على التمايز حسب الأصل ولون البشرة على مجموعة من القوالب النمطية التي تحدد المواقف العنصرية. وتشكل هذه القوالب النمطية السلوكيات والأفكار فيما يتعلق بالجسد والفكر كأن ينتمي السود إلى مرتبة الفقراء ويختصون بسوء التنظم والتعليم . وأما بالنسبة إلى الشهادات

[71] أجير، ميسال. التعامل مع غير المرغوب فيهم. مخيمات اللاجئين من الحكومة الإنسانية.فلاماريون، 2010، مرجع سابق. المدينة،ص.31.
[72] سبفاكي، غاياتري شاكرافورتي. نقد لمنطق ما بعد الاستعمار: نحو تاريخ الحاضر المتلاشي. مطبعة جامعة هارفارد،1999.
[73] رفيق شاكات، "رهاب الزنوج، ملعوني المغرب"، الشرق 21، 11 أوت 2020،
[74] ويليامز، إيريك. الرأسمالية والعبودية. وجود الأفارقة، 1968،ص.7.

حول الانطباع السائد بالقذارة، فهو يتعدى الحكم على أجسادهم السوداء ويشمل مطبخ " سكان جنوب الصحراء" الذي يعدونه متّسخا ويتهمهم أصحاب البيوت في تونس بانبعاث رائحة كريهة من منازلهم وبتوسيخها[75]. تتم معاقبة النساء السود عقوبة مضاعفة لأنهن يجابهن العديد من الصور النمطية العنصرية والتحييزات، ويعتربن "متاحات جنسيا" ، ويعرفن بالرغبة الجنسية القوية حسب المخيال الاجتماعي وأنهن قادرات على "منح الشفاء" مما يفسر للأسف العديد من عمليات الاغتصاب والتحرش الجنسي. "كحلة تصفي الدم" [76] تعبير يدل على مخيال من الافتراس والانقضاض لتوليد بركة علاجية باعتماد الدم والهيمنة ولاسيما على النساء السود[77]. أن النساء السود يتعرضن إلى ضروب من التمييز وهن طرائد العنصرية الملونة التي يعززها التمييز الجنسي والكراهية تجاه "الغريب" في حالة المهاجرات القادمات من <<جنوب الصحراء>> . في المقابل تمت ملاحظة إنكار للعنصرية في تونس عبر الاعتزاز بإلغاء العبودية في عام 1846 –قبل العديد من البلدان- وهو انكار للعنصرية سواء كانت مؤسسية أو شخصية. وإن إخفاء التمييز يعمل على تعزيز ذلك. ويتم استخدام كلمات ازدراء ومهانة كذلك ل"إخفاء" عنصرية معينة فبدلا من قول "أسود" ينتقي البعض كلمة "أسمر" التي تعني "بنيّ" وكأنها تجعلهم أكثر لطفا بتقريب اللون إلى البياض . وفي الكتب المدرسية تم اعتماد "مامادو" وهي الشخصية الوحيدة في الكتب المدرسية سوداء وأجنبية في نفس الوقت للتعرف على وجود السود مع الابقاء على عمق المسافة على اساس اللون. وفي أغلب الأحيان يتم تصنيف المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء >> هذا التصنيف وكذلك التونسيون السود الذين يعتقد في أغلب الأحيان أنهم أجانب مثل "مامادو" أسود وأجنبي ويتحدث اللغة الفرنسية. ويصف لاجئ سوداني هذا التباعد جيدا ويقول إن التونسيين يخاطبونه باللغة الفرنسية مفترضين أنها اللغة التي يتحدث بها وأنه قاصر عن فهم إهاناتهم وما أن علموا أنه عربي ظنوا أنه مسلم وخاطبوه بمراجع إسلامية . ومنه يتم استعمال كلمة "بلال" لمخاطبة السود دون تجريح بما أن بلال بن رباح كان مؤذن الرسول وصديقه وهو أول مسلم إفريقي يولد عبدا ويتحرر بفضل الإسلام وهذه الشخصية هي أسوة المسلمين على مناهضة عنصرية الإسلام ووحدة الشعوب المسلمة بغض النظر عن لون البشرة ولكن الكثير من الأفراد في هذه الفئة من المهاجرين غير مسلمين .."بلال" عبارة مفرغة مضللة تعكس تصورا خاطئا وتنم عن سلوك من التعالي أي قبول الآخر على وجه الكرم الأخلاقي تجاه من هم "دون".

إن القانون الأساسي رقم 50 لسنة 2018 لمكافحة التمييز العنصري كان الأول من نوعه في شمال إفريقيا والعالم العربي ويهدف إلى معاقبة التمييز العنصري وتوفير آلية كي يطالب الضحايا بتعويضات عن التصريحات والممارسات العنصرية التي تعرضوا لها[78]. وهو نتيجة احتشاد التونسيين السود والأفارقة القادمين من <<جنوب الصحراء>> ولكنه بادرة لا تقضي على العنصرية الاجتماعية التي تكرسها الأزمات والتوظيف السياسي لها.

[75] سداي، ساليا." العنصرية ضد السود في المغرب : كشف المواضيع التي يتجنب الحديث فيها" ، هيرتود، مجلد.180، عدد.1،2021،صص.131-148.

[76] المعني:" الأسود الذي يطهر الدم".

[77] خولة الفرشيشي. "الكل يشتهي جسدي ويحتقره":أن تكون سوداء في تونس، خاطرنا، 8 جوان 2020، https://bit.ly/3XbP7Ns

[78] القانون الأساسي رقم 79 عدد 50-2018 المؤرخ في أكتوبر 2018، المتعلق بالقضاء على جميع أشكال التمييز، https://legislation-securite.tn/fr/law/104416

## 2. الإستبدال العظيم؟

إذا ما قلّبنا صفحات التواصل الاجتماعي ، نلاحظ وجود خطابات تستهدف وجود مهاجرين من <<جنوب الصحراء>> في تونس وعبر استغلال بعض الأخبار، تتوقع الخطابات العلق في "أزمة هجرة" و"غزو" في تونس تتسبب فيها هذه الفئة ومن الجلي أن هذه "الأزمة" لا تنفصل عن التطورات السياسية الدولية وسياق السياسات الأوروبية ،فضلا عن الخيارات التي انتهجتها تونس فيما يتعلق بالهجرة "جنوب الصحراء>> ، ولم تخلو وسائل الإعلام المهيكلة أو غير المهيكلة من الأفكار التآمرية التي تستهدف المهاجرين الأكثر هشاشة اجتماعيا واقتصاديا والقادمين من "جنوب الصحراء". وتم استخدام العديد من الأحداث لشرعنة هذا الخطاب وهي أحداث مجزأة وعشوائية مثل عمليات السطو التي كانت ضحيتها تونسيون والمشاجرات بين التونسيين والمهاجرين والبيع غير المشروع لمنتجات كحولية من <<جنوب الصحراء>> واختطاف رجل أعمال فرنسي من قبل صحراوي ومطالبة فدية للإفراج عنه ، إلخ[79]. أسهمت هذه الحوادث في تعميم صفة الإجرام على هذه الفئة وفي خضم انعدام الأمن في البلاد التونسية ودبيب الخوف في أرجاء البلاد تتبلور صورة جماعية سلبية ومستهجنة عن هذه الفئة وهي عملية شيطنة في حقهم كأفراد .

ومن بين الاحداث ذات الدلالة ايضا، أُلغيت العديد من الرحلات في مطار تونس قرطاج في 5 جويلية 2022 إلى دول الجنوب (عكس تلك المتجهة إلى بلدان الشمال) وتقطعت السبل بالعديد من المسافرين دون الاتصال بالمسؤولين ولما أخذ منهم الغضب كل مأخذ ، ارتفعت الحناجر في الحشد ووقعت أحداث عنف بين الموظفين والركاب كما تم اعتقال العديد من ركاب جنوب الصحراء[80]. ولو أن واقع الحادثة بعيد كل البعد عن احتماله لحقيقة واحدة من منظور واحد فقط إلا أن الأفعال الاجرامية تُنسب حصرا إلى هذه الفئة دون غيرها باعتبارها "وحشية وعنيفة"[81].

إن منح صفة الإجرام والتسول للمهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> هي جزء من ديناميكيات التآمر التي مفادها أن هذه الفئة س"تغزو" تونس من أجل "تشويهها" والإستفادة من ثرواتها مما ينذر بأزمة سياسية واقتصادية في الأفق. وتذكرنا هذه الخطابات التآمرية عن الاستبدال والغزو بخطابات "الاستبدال العظيم" التي انتشرت في أوروبا. وإن وجود إحصائيات غير دقيقة وغير موثوقة عن هذه الفئة يغذي التوقعات الديمغرافية وفي أغلب الأحيان يُقدر عدد المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> بمبالغة كبيرة. وتتظاهر هذه الخطابات ب"الملاحظة الموضوعية" للنمو الديموغرافي ولكن تخلط في الفهم بين الأغلبية والإفراط في التمثيلية[82]. تجد مجموعات المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> صعوبة في الإندماج في النسيج الإجتماعي بما أن

---

[79] https://urlz.fr/ieVE.

[80] المنتدى التونسي للحقوق الاقتضادية والاجتماعية. مطار تونس قرطاج، 7 جوان 2022، https://ftdes.net/aeroport-tunis-carthage/.

[81] تصور عنصري له مراجع استعمارية.

[82] هيرون، فرونسوا." 11. إيريك زامور، أو التجاهل الذي يخترق كل شيء"، مع الهجرة.القياس، النقاش، التصرف، تحت إشراف هيرون فرونسوا. الاكتشاف،2017،صص.206-220.

تمثلها الاجتماعي والثقافي يقترن بالصور النمطية السلبية والتحيزات فنشهد غيرية راديكلية تعلن انهيار التونسة في سياق من الطعن في الهويات[83]. وهذه الهوية (التي هي متوسطية ومغربية) مبنية على منطق الإستثناء والإصلاح والحداثة[84] يهددها وجود أفراد من <<جنوب الصحراء>> ومنه نظرية الاستبدال التي تعلن تصادم هويتين مختلفتين وتنذر بتشويه التونسة نهائيا. وفعلا، تقوم نظرية "الاستبدال العظيم" التي طرحها رينو كامو سنة 2010 بمنطق المواجهة بين هويتين متعارضتين ، مما يهدد الهوية الفرنسية بالاضمحلال[85].

ومع تزايد الخطاب التآمري في تونس ، أصبح يُنظر إلى هذه الفئة على أنها تصبو إلى استبدال العادات والتقاليد التونسية بل ربط البعض بين تواجد هذه الفئة وسوء سياسة بعض الأطراف المحلية (على غرار حزب النهضة) وتقنات هذه الخطابات على وسائل الإعلام وصناع القرار الذين يتحينون الفرصة لبث الريبة في النفوس وتمزيق أوتار التضامن الذي يمكن أن ينشأ بين الطبقات في خضم الأزمة الاقتصادية.

### 3. الأزمة الاقتصادية والبطالة وكباش الفداء

تكون هذه الخطابات مستوحاة –بطريقة أو بأخرى- من الخوف الذي كرسته الهواجس الاقتصادية وفي الواقع الأوضاع الاقتصادية في تونس هي أبعد من أن تكون آمنة مع انخفاض معدل النمو السنوي من 4.3 ٪ في سنة 2000 إلى 1.7 ٪ سنة 2010 وتشهد البلاد انخفاضا في الانتاجية والاستثمار مما يضعف إمكانية النمو والقدرة التنافسية . بلغ العجز في الميزانية 10 ٪ بسبب تباطئ النشاط الاقتصادي وإجراءات التأجيل الضريبي [86] . يزداد التضخم وفق المعهد الوطني للإحصاء إذ بلغ في أفريل 2022، 7.5 ٪ على أساس سنوي بينما كان في أفريل من السنة الماضية 5 ٪ .

وكان معدل البطالة مستقرا نسبيا إذ بلغ 16.1 ٪ في الربع الأول من سنة 2022 . [87]وتُجاهر المفاوضات مع صندوق النقد الدولي والحرب في أوكرانيا وارتفاع التكاليف العالمية وتداعيات فيروس كورونا وتبعات الاضطراب السياسي وغياب الاستراتيجيات الفعالة لمعالجة الأوضاع وضبابية الرؤية بالتعرّض للصعوبات باستمرار . وسيزداد الفقر ولن تهدأ الأوضاع. وتأذت العادات الغذائية للأسر التونسية بسبب الوباء، بحيث كان من المقرر أن يخفضوا حصصهم الغذائية أو أن يباشروا في استهلاك أغذية غير مدعّمة أو أن يستخدموا مدخراتهم أو يقترضوا أموالا وفقا للدراسة التي أجراها معهد الإحصاء الوطني والبنك الدولي ولقد أصبح ارتفاع الأسعار وفقدان الوظائف معضلة على المستوى العام والخاص مما ينذر بزياد نسبة السكان الذين يعانون من أوضاع غير مستقرة

[83] ميزوري رشا."بناء الدولة والهوية "التونسية": بين الأعراف والانقسامات، حرمان، تبادلات" تحديات المعلومة والاتصالات 2021،22.222.
[84] هيبو، بياتريس. "الاصلاح، السرد السياسي العظيم لتونس المعاصرة". مراجعة للتاريخ المعاصر، 2009.
[85] بالنسبة إلى فرنسا، تكون المواجهة بين "القيم الغربية" والإسلام، بالإضافة إلى استبدال بيولوجي للشعب الفرنسي "الأصلي" من قبل المهاجرين من المستعمرات السابقة.
[86] البنك الدولي، البنك الدولي في تونس، 21 جوان 2021، https://www.banquemondiale.org/fr/country/tunisia/overview
[87] المعهد الوطني للإحصاء ، مؤشرات العمالة والبطالة، الربع الأول 2022، http://www.ins.tn/publication/indicateurs-de-lemploi-et-du-chomage-premier-trimestre-2022

والمعرضين إلى خطر الفقر والحاجة وقد بلغت النسبة عموما 18.2 ٪ من مجمل السكان حسب تعداد سنة 2020. [88]إن التفاوتات بين التونسيين كبيرة وتفتقر السياسات إلى الفاعلية فيما يتعلق بالرد على هذه الأرقام المقلقة. ومن ثمة تبرز مشكلة الهجرة في بلد يعيش ضائقة ويشتكي المواطنون فيه عدم الاستقرار ويطالبون بالتشغيل وغالبا ما تكون سياسات الإسكان فيه معيبة وغير متكافئة. فيكون الأفراد المنتمين إلى هذه الفئة أكباش فداء وهو الدور الذي لعبته شعوب المستعمرات الفرنسية السابقة (المغاربة والسود) في فرنسا لأنها تدنّس المجتمع وتشوه قيمه الثقافية. تحمي أكباش الفداء المجموعات المنشئة لأنها تسمح لها بمجابهة الاضطهاد المتخيّل. [89]وغالبا ما ينظر إلى المهاجرين على أنهم حملا ثقيلا على الاقتصاد المنهار بطبيعته ومع ذلك قد تبيّن التجارب عكس ذلك.

وفي العموم ، ترتبط عادة سياسات الهجرة الدولية واللجوء ارتباطا مباشرا بتأثير الدول المانحة والدول المضيفة والمنظمات غير الحكومية والمنظمات الدولية ولاسيما الهيئات مثل المنظمة الدولية للهجرة والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وقد قوّمت المفوضية السياسات الحضرية التي تهم اللاجئين في علاقة بميزانية العمليات وتشخيص الوضع وتعتبر سياسة 1997 سياسة شاملة فيما يتعلق باللاجئين في المناطق الحضرية مؤكدة على التبعية المفترضة للاجئين لأنهم يتسلمون مساعدات تجعلهم يستسلمون ل"متلازمة التبعية" وقد يكونوا قطعوا مسافات طويلة بالنقل المنظم وبالتالي ليسوا معدمين اقتصاديا ولن يكونوا جامدين أو غير متحركين ومن المحتمل أن ينتقلوا إلى مناطق أخرى[90] . وبالتالي تأخذ هذه السياسة بعين الاعتبار حس المبادرة وقدرة اللاجئين الحضريين على تسوية المشاكل الاقتصادية ولاسيما التي تخص البلد المُضيف لأنهم قادرون على الإجراء وتوليد مداخيل. وإن سياسة اللاجئين الحضريين لسنة 2009 منفصلة عن سابقتها لأنها أخذت في الحسبان واقع التحضر السريع. [91]وكانت الغاية من ذلك هي خلق بيئة ملائمة تحمي اللاجئين وتبحث عن حلول في المناطق الحضرية وبعيدة عن المخيمات [92] . لذا، كان الخيار المُتّبع هو تعزيز دور هؤلاء الأشخاص لتعزيز النمو الاقتصادي[93]. يقطن المهاجرون غير المستقرين ولاجئون في المناطق الحضرية في أحياء مهمشة بالقرب من الفقراء والمهمّشين فيستخدمون نفس خدماتهم غير المتطورة ويقوم بنشاط يضاهي نشاط الفقراء. لذا فهم يعانون مثلما يعاني التونسيون من البطالة والتضخم مما يحدّ من إمكانياتهم من الإستبدال ونظرا للدور الاقتصادي الذي يلعبونه في التفاوض على حدود الاضطهاد، فهم يسهمون اقتصاديا في حين يتم استغلالهم وينعتون بالغاصب والعبء الثقيل. ويمكن أن نكشف عن أوجه التشابه انطلاقا من تجربة الدولة اللبنانية مع اللاجئين السوريين. بحكم الأمر الواقع، انهال سيل عارم من اللاجئين السوريين إلى لبنان ما يناهز المليون وقد غيروا شكل

[88] المعهد الوطني للإحصاء. بطاقة الفقر، سبتمبر 2020، http://www.ins.tn/sites/default/files/publication/pdf/Carte%20de%20la%20pauvret%C3%A9%20en%20Tunisie_final_0.pdf

[89] رينيه جيرارد. كبش فداء. جراست ، 1961 ، ص 9-20.

[90] المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. السياسة الشاملة للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بشأن اللاجئين الحضريين ، جنيف ، 1997.

[91] المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. سياسة المفوضية بشأن حماية اللاجئين وإيجاد حلول لهم في المناطق الحضرية ، 2009.

[92] جيف جيف كريسب. "إيجاد مساحة للحماية: حساب داخلي لتطور سياسة اللاجئين في المناطق الحضرية للمفوضية". اللاجئ: المجلة الكندية للاجئين 33 (1) ، 2017 ، https://doi.org/10.25071/1920-7336.40451.

[93] المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. الميثاق العالمي بشأن اللاجئين ، 2008.

الأحياء والمشهد العقاري في البلاد عموما وانجر عن ذلك زيادة عدد السكان بنسبة 20 ٪ في سنة واحدة بينما كانت سياسة الإسكان غير متوفرة في بلد حاضن للاجئين [94] . لعبت الشبكات العابرة للحدود الوطنية دورا في استقبال اللاجئين وقد رحب عدد كبير من المهاجرين باللاجئين أو ساعدوهم على إيجاد سكن[95]. وفي مواجهة وجودهم، انتشرت الخطابات في المدينة : تنافس السويون مع اللبنانيين عبر إنشاء مؤسسات وتوظيف سوريين بدلا من اللبنانيين العاطلين عن العمل فيسوقنا الحديث عن حمل ثقيل فرض نفسه في بلد يمر بأزمة وسيعمّق هذه الأزمة أكثر فأكثر. ومع ذلك، فإن السوريين عوضا عن ذلك يساهمون في الأحياء الحضرية التي يقطنون فيها[96]. وإذا سُمح لهم بالعمل دون قيود إدارية ودون مضايقات وبأمن ، فسيعود ذلك بالفائدة على المدن كتوسيع المجتمعات وتوسيع الأسواق واستيراد مهارات [97] جديدة فإن التعددية الثقافية تُثري الدول والاقتصادات[98]. إن اللاجئين في المناطق الحضرية في سوريا أبعد من كونه عبئا مثل المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> واللاجئين في تونس وهم مساهمون مساهمة تثري الاقتصاد والمجتمع. وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن حتى للفئات المستضعفة أن تأمين دخل وجني الأموال للعيش ومساعدة الأقارب. يتعرض المهاجرون للإقصاء الاقتصادي ولمضايقات الشرطة والعنف الاجتماعي ومع ذلك فهم يقدّمون فرصا جديدة للمحيط الذي يتواجدون فيه وهم يتمركزون في هامش المجتمع المُضيف ويستفيدون من الفرص القليلة وغالبا ما يتم استغلالهم من قبل أرباب العمل الجشعين وتغذي الضائقة الاقتصادية المحلية والعالمية والشعبوية المتزايدة خطاب الضحية وتمثيل كباش الفداء [99] . توجه التمثيلات الاجتماعية والثقافية للمهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> مخاوف سياسية واقتصادية معينة في خضم سياق حرج وفي نفس الوقت يخضعون لعمليات إخفاء "يحدفون للموت" والتي لا يتم فصلها عن الديناميكيات العالمية (خاصة فيما يتعلق بسياسات الهجرة الأوروبية ).

## IV. الهجرة على حساب السياسات الدولية والمحلية

### 1. سياسات تصدير الحدود الأوروبية في تونس

أمام أوربة الحق في اللجوء ، استخدمت أوروبا أدوات لا تتوافق بشكل جيد مع اتفاقية جنيف المتعلقة بوضع اللاجئين لعام 1951. وتعتبر هذه الاتفاقية غير ملائمة في السياق الحالي بسبب سياق

---

[94] مراد إل .. "التقاعس عن صنع السياسات: فهم الاستجابة المبكرة للبنان لتدفق اللاجئين" دراسات POMEPS: اللاجئون وحركات الهجرة في الشرق الأوسط 25 ، 2017

[95] منى فواز. "التخطيط وأزمة اللاجئين: الطابع غير الرسمي كإطار للتحليل والتفكير." نظرية التخطيط ، المجلد. 16 ، لا. 1 ، فبراير. 2017 ، ص. 99-115 ، دوى: 10.1177 / 1473095216647722.

[96] حرب ، "اللاجئون الرياديون والمدينة: لقاءات موجزة في بيروت" ، مجلة دراسات اللاجئين ، 32 (1) ، 2018 ، ص. 23-41. دوى: 10.1093 / jrs / fey003.

[97] سانيال ، روموﻻ (2014) التحضر: استجواب مساحات النزوح. المجلة الدولية للبحوث الحضرية والإقليمية ، 38 (2). ص. 558-572. ISSN 0309-1317

[98] كارين جاكوبسن ، اللاجئون وطالبو اللجوء في المناطق الحضرية: منظور سبل العيش ، مجلة دراسات اللاجئين ، المجلد 19 ، العدد 3 ، سبتمبر 2006 ، الصفحات 273-286 ، https://doi.org/10.1093/jrs/fel017

[99] لاندو.لب وسيقاتي (2009) تأثيرات التنمية البشرية للهجرة: دراسة حالة لجنوب إفريقيا. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

تشكلها الذي ارتبط بعصر الحرب الباردة حيث يعرف طالب اللجوء بالشخص الذي ترك بلده نهائيا. ومنه، فإن الحدود التي تمكن من التمييز بين المنفيين (اللاجئين والمهاجرين لأسباب اقتصادية) تبدو ضبابية وفقا للعديد من صناع القرار الذين سارعوا للمطالبة بفرز المهاجرين[100] . استندت اتفاقيات دبلن لعام 1990 ودبلن الثانية لعام 2003 ودبلن الثالثة لعام 2013 على المبادئ التي وحدت سياسات اللجوء في منطقة شنغن مقلّصة في المبادئ الأساسية للحق في اللجوء .وتقوم هذه الاتفاقيات على محاربة ما يسمى ب"تسوق اللجوء" (طلبات اللجوء في العديد من الدول الأعضاء ونقل الطلب من دولة عضوة إلى دولة عضوة أخرى). وهي بذلك تؤكد على ضرورة احترام قرارات الرفض الصادرة عن الدول الأعضاء. وفضلا عن ذلك ، تستند هذه اللوائح على مبدأ "محطة واحدة، متجر واحد" (يتوجب على الشخص التقدم بطلب اللجوء في أول دولة أوروبية يصل إليها) وفرضت الاتفاقيات ضغوطا مفرطة على المناطق الحدودية مثلما حصل في وضعية اللاجئين السوريين في اليونان سنة 2015 وتدفق هائل للمهاجرين في طرق البلقان. وتذهب قيود الهجرة إلى أبعد من ذلك وفرضت العديد من البلدان عقوبات على الناقلين ووضعت مفاهيما إشكالية للبلد "الآمن" ، حيث يتم تصدير الحدود في هذه البلدان "العازلة" عند بوابات أوروبا. فينتج عن ذلك الانحراف الأمني والانساني وتستخدم الدول الأوروبية حق اللجوء كأداة لاستغلال الحدود وباعتماد نهج تمييزي لمقدمي الطلبات.

وعلى الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط، نلاحظ التبعات السلبية لعملية تصدير الحدود وغالبا ما تتم إعادة المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> إعادة قسرية ويحدف بهم للموت في الصحراء. وأُقيمت معسكرات اعتقال في الجزائر والمغرب وموريتانيا وليبيا والآن في تونس (سجن الوردية تحت الإسم الرسمي "مركز الاستقبال والتوجيه" ) ومنه فإن البلدان التي تقع على الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط يتم إلحاقها بالسياسات الأمنية لأوروبا وتلقى دول الشرق الأوسط التي -تحت تأثير المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين التي تدعمها ماليا- نفس المصير حيث تقوم بتصدير ملفات رعاية اللاجئين العراقيين الذين سترفضهم أوروبا وترحّلهم. وإن عملية الخرطوم هي عبارة عن حوار أوروبي إفريقي تم سنة 2014 وهو استمرار لسياسة التصدير الأوروبية[101]. ومن أجل إبعاد المنفيين ، تتوحد الدول الأوروبية مع الدول الإفريقية (جيبوتي ومصر وإريتريا وأثيوبيا وكينيا والصومال وجنوب السودان والسودان وتونس) والنرويج وسويسرا. وذلك سعيا للتعاون لمكافحة الهجرة غير النظامية و"الإجرام" الذي سينتج عنها. ومع ذلك، كانت وسيلة لأوروبا لعدم تولي مهمة فرز طلبات اللجوء وعدم خرق الاتفاقيات الموقعة في الآن نفسه.

وتبدو تونس كما لو أنها تقاوم المحاولات الأوروبية. في سنة 2017، قال رئيس الحكومة السابق يوسف الشاهد إن تونس عاجزة على إدارة معسكرات للمهاجرين أثناء الانتقال الديمقراطي. وفضلا عن ذلك ، "لن تكون تونس أرض لجوء وترفض إنشاء مراكز إيواء على أراضيها للمهاجرين الأجانب المتجهين إلى أوروبا« . كما قال رئيس الحكومة السابق هشام المشيشي -الذي شبّه الهجرة غير النظامية بالإرهاب في تدخله في المؤتمر الوزاري الأورو-إفريقي حول الهجرة في لشبونة- أن تونس

[100]كشفت الحرب في أوكرانيا أن العديد من الدول الأوروبية تستخدم منطق الفرز بين اللاجئين "الجيدين" مقابل. اللاجئين السيئين على أساس الجنسية فحسب.

[101] روديه، كلير." تصدير طلب اللجوء" ، الحق الكامل، المجلد. 105، لا، 2، ص. 10-13.

غير متأهبة على الإطلاق لاستقبال مواطنين من دول أخرى وتُعارض أي تدخل لقواتها في العمليات التي تمس بسيادتها الوطنية[102]. كما تدين منظمات المجتمع المدني التونسية والأجنبية الضغوط التي تتعرض لها تونس. وأكد البيان المنشور على أن تونس ليست "دولة آمنة" حسب التشريع الأوروبي. لذا تبدو المناولة مستحيلة في هذا البلد. ورغم هذه الكلمات وهذه المجهود، فإن سياسة تصدير الحدود قيّد التنفيذ في تونس. وتضاعف السلطات والمجتمع المدني [103] من مجهوداتها لمنع المهاجرين سواء كانوا تونسيين أو قادمين من "جنوب الصحراء" في تونس أو على الحدود [104].

إن تحويل المسؤولية مُكلف بالنسبة إلى تونس والمهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> المستقرين في تونس . وتتأثر ظروف سكنهم ب"أمننة" الهجرة التي تحدث في البلاد. وتوضح شهادات تجارب الترحيل على الحدود الليبية الجزائرية والمداهمات المُهينة من قبل الشرطة للسيطرة على المهاجرين غير النظاميين وتجارب المحتجزين في سجن الوردية اعتماد منهج صناعة الضحية الذي يصنفهم حسب ملامحهم الاجتماعية وحسب الخطر الذي يمكن أن يتسببوا فيه في أوروبا إذا ما قرروا العبور إلى الضفة الأخرى. ويدرك الأشخاص الذين تمت مقابلتهم وهم في حالة عبور الدور الذي تلعبه تونس في هذه الديناميكية بين الشمال والجنوب. وعندما يقارنون أنفسهم بالتونسيين الذين يعرضون للترحيل القسري عندما تمنعهم الشرطة من العبور، يقولون أنهم مصرون على تفادي العودة القسرية. "إذا كان هذا هو دورهم فنحن أيضا سنقوم بمهمتنا". إن عدم فاعلية الأساليب المستخدمة تصبح واضحة من خلال هذه الكلمات. وبقطع النظر عن المحاولات المستخدمة ، فإنها لا تردع الناس عن التنقل ، بل تجعل الحياة في المنفى صعبة وغير إنسانية[105] . وفضلا عن سياسات تصدير الحدود التي تعاني منها تونس، تجعل الاجراءات الإدارية الأخرى حياة المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> معقّدة أكثر.

### 2. صناعة أفراد دون أوراق

إن الممارسات الإدارية المكبّلة تساهم في تزايد فئة ما يسمى بالمهاجرين <<غير النظاميين>> أو <<دون أوراق>> ويتعسّر على العديد من المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> الحصول على تصريح إقامة و تجديده . إذ يتعيّن على المهاجرين المستقرين بصفة وقتية في تونس مغادرة البلاد ما إن انتهت صلاحية تصريح إقامتهم في حال عدم الحصول على تجديد. ولتجديد هذا التصريح بعد فوات الأجال قد يتعين على الشخص المعني دفع غرامات قد تبلغ 300 دينار كتكاليف تجديد متأخر ومابين 20و 40دينار عن أسبوع تأخير. وما إن تراكمت التكاليف واستحال تسديدها، لا يجدد الأفراد تصريح إقامتهم بكل بساطة ويحاولون تجنب القمع البوليسي المحتمل. وقال مهاجر غير نظامي

[102] هشام المشيشي في البرتغال : تونس ترفض إنشاء ملاجىء للمهاجرين الأجانب، https://www.businessnews.com.tn/hiem-meii-au-portugal--la-tunisie-rejette-la-mise-en-place-de-refuges-pour-les-immigres-etrangers,544,108275 ,3

[103] من خلال، إبراز قضية الهجرة في تونس وتسويق تونس كوجهة.

[104] ديني، سابين، كاترينا، جيوسا. تصدير حوكمة الهجرة من خلال المجتمع المدني. منشورات اسبرنج العالمية، 2020.

[105] نيكولاس دي جينوفا. مشاهد المهاجرين "غير الشرعيين" : مشهد الإقصاء ، فاحشة التضمين، الدراسات الإثنية والعرقية، 7:36، 2013،ص 1180-1198، / 1080.10 دوا: 01419870.2013.783710/10.1080

يسكن في صفاقس ملخصا الصعوبات التي يلقاها المهاجرون بخصوص تجديد تصريح إقامتهم بعد إنتهاء المُهلة:" ثمة أشخاص قدموا قبل سنوات ولا يستطيعون العودة إلى ساحل العاج لأنه يتعيّن عليهم تسديد ثمن العقوبة ولكن لم العقوبة؟ إن كنت لا تملك نقودا فكيف ستدفع الغرامة؟ هل ستدفع ثمن الطائرة أو ثمن الغرامة؟ وكيف ستدبّر أمر النقود؟ "

ووصفت ممارسات الإدارة أثناء التجديد بأنها تتسم بالعنصرية المؤسسية فيعزف المهاجرون عن الاتصال بالإدارة متجنبين سوء المعاملة والغطرسة والامبالاة . كما يضطر طالبو اللجوء واللاجئون غير نظاميين العيش في السرية بسبب غياب اطار قانوني ما يزيد من هشاشتهم. أما بالنسبة إلى الطلاب الذين أنهوا مسيرتهم الأكاديمية، فتجرّهم استحالة تمكينهم من العمل بشكل قانوني والاستغلال والاتجار إلى مسارات معقّدة ومن المؤكد أن القانون 1968-0007 المؤرخ في 8 مارس 1968 والمتعلّق بأوضاع الأجانب في تونس ، يعيق الحصول على عمل بشكل قانوني ويدفع الأفراد إلى اتباع طرق غير نظامية. كما نص القانون في المادة 23 على أن الأجانب الذين لا يملكون تصريح إقامة ساري المفعول ومجدد هم عرضة للسجن لمدة سنة مع غرامة غير محددة والتي يمكن أن تكون باهظة جدا كما هو الحال في سنة 2021 لطالبة غابونية شابة ، ألقت الشرطة القبض عليها وسُجنت لمدة 10 أيام وذلك بعد 9 أيام من إنتهاء تصريح إقامتها حين كانت متجهة الى العاصمة لاستلام بطاقتها القنصلية[106] . وخلاصة ذلك أن الطلاب والأشخاص القادمين لأسباب سياحية (لا تتجاوز الثلاثة اشهر) يجدون أنفسهم في وضعية غير نظامية وعرضة للسجن وسوء المعاملة إذا ما تم القبض عليهم من قبل الشرطة. ويعتبر الوضع استثنائيا بالنسبة للطلاب الذين يحصلون على بطاقات الطلاب والوثائق المبررة الخاصة بهم بعد أشهر فقط من بداية السنة الدراسية ولكن هذا التأخير يجعلهم عرضة لرجال الأمن ويضعفهم. كما لا يقوى الأشخاص الذين لم يتمكنوا من دفع الغرامات التراكمية على الحصول على عمل بعقد يمنع استغلالهم ويتعسّر عليهم كذلك الحصول على سكن يحفظ ماء الوجه . ولا يمكنهم مغادرة الإقليم والعودة إلى مواطنهم ويُرغمون على العمل والعيش في خطر محقق حتى يسددون الغرامات والتي تكون في أغلب الأحيان باهظة جدا ولا يقدرون على تسديدها [107] .

أعلنت الحكومة التونسية في أفريل سنة 2020 أثناء أول حجر صحي وإثر المطالب التي تقدمت بها جمعيات المجتمع المدني ومنها المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية [108] تعليق تواريخ إنتهاء التأشيرة ومنح مساعدات مالية كما دعت أصحاب العقارات إلى تعليق الإيجار لشهري مارس وأفريل من سنة 2020 [109] . ومع ذلك ، لم يتم تنفيذ أي تدابير لتسوية الأوضاع رغم اصرار المجتمع المدني لضمان حقوق مختلف المهاجرين دون أوراق . ومن ضمن المشاركين في هذه الدراسة الكثير

[106] غابون نيوز. تونس: اعتقال طالب غابوني ثم احتجازه بمعزل عن العالم الخارجي لعدم حصوله على تصريح إقامة ، 17 أكتوبر 2021، https://gabonactu.com/tunisie-calvaire-dune-etudiante-gabonaise-arretee-puis-gardee-au-secret-pour-defaut-de-carte-de-sejour/

[107] مصطفى نصراوي، "العمال المهاجرون من جنوب الصحراء في تونس يواجهون قيودا تشريعية بشأن توظيف الأجانب" ، المجلة الأوروبية للهجرة الدولية، المجلد. 33 - # 4 | 2017 ، 159-178.

[108] جلسة عمل بين وزيري الداخلية والشؤون الاجتماعية والوزير الملحق برئيس الوزراء المكلف بحقوق الإنسان والعلاقات مع الهيئات الدستورية والمجتمع المدني حول أوضاع الأجانب المقيمين في تونس، 07 أفريل 2020، https://rb.gy/khxywu.

[109] المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، يجب اعتماد إجراءات حكومية واتخاذ قرارات أكثر جرأة لحماية المهاجرين واللاجئين من فيروس كورونا، 10 أفريل 2020، https://rb.gy/qypmyh.

من المهاجرين كانو في وضع غير نظامي منذ البداية بينما أصبح آخرون غير نظاميين بسبب التجارب السيئة . وبصفة خاصة ، تعلن مُهاجرة أنها أصبحت دون أوراق لأن المُشغِّل استغلّها فاضطرت للفرار ( قدمت إلى تونس بعقد عمل معينة منزلية وأساءت لها صاحبة البيت التي تُشغّلها) وتخبرنا أنها فقدت جواز سفرها وأوراقها الرسمية لما ولّت هاربة ولم تعد تعرف مكان المرأة التي أساءت إليها ومكان أوراقها وهي مقتنعة بأن "الوضع إذا كان جيدا في تونس لما لقي الناس حتفهم في الماء" وهي تخطط بالفعل لمغادرتها . ويبدو أن تونس بسبب الممارسات الإدارية والأمنية تصنع أفرادا دون أوراق واهنين ومستضعفين وعرضة لجميع أنواع الاستغلال وغير قادرين على التطلع إلى مستقبل في الأراضي التونسية وعاجزين عن العودة إلى أوطانهم . وتعد مسألة السكن أساسية في هذا السياق السياسي والاجتماعي ، بحيث يتم تهميش تواجد الأفراد القادمين من <<جنوب الصحراء>> . ومنه سنحاول فيما يلي أن نوضح ظروف أزمة سكن هذه الفئة وتمركزهم في الأماكن التي يستقرون فيها.

الحق في السكن كصراعات أماكن ومجالات وهوامش

مهاجرو جنوب الصحراء في تونس مثالا

02

# سياق أزمة سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> إلى تونس

المهاجرون في المدينة
منازل المهاجرين من الداخل

## الجزء الثاني: سياق أزمة سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> إلى تونس

يحق لكل شخص الحصول على سكن لائق والعيش في بيئة سليمة وهو حق أساسي فمن البديهي أن تكون سياسات الإسكان والتنمية الحضرية من أهم الشواغل لضمان هذا الحق للشعوب. ولوحظت في تونس أوجه قصور في سياسات الإسكان التي تتعلق بعيوب "الاسكان الاجتماعي" . وتم إعداد هذه التدابير لاحتواء حركات الهجرة الداخلية أو ما يسمى ب"النزوح الريفي" بهدف إيواء عملاء موجودين في منتصف السلم الاجتماعي والذين لديهم دخل منتظم ولا يمكنهم العثور على سكن يناسب احتياجاتهم في السوق الخاص . وانجر عن النقص وعدم كفاية المساكن " الاجتماعية" تبعات جسيمة اجتماعية ومجالية فازداد الفقر وبانت ظواهر التقسيم الاجتماعي للمجال أكثر فأكثر [110] . وبالتالي استثمر من أهملتهم الدولة غي ميادين أخرى. وازداد ما يُسمى بالإسكان "البدائي" ، حيث وصل إلى حوالي 45 ٪ من المساكن في سنة 1975[111]. تتزايد هذه المساكن أكثر فأكثر رهم هشاشة بنائها ورغم انتشار ظاهرة الإقصاء الاجتماعي إلا أنها تعتبر وسيلة الطبقات المحرومة في الحصول على ملكية وتجنب الإيجار الذي يجعلها غير مستقرة. وإن تقصير الدولة فيما يتعلق بمسألة إسكان الفقراء له تداعيات تصل إلى تجارب الأشخاص عبر الأجيال وعبر تغييرات التقسيم الاجتماعي للمجال التي بدورها تنتج عن ذلك. تكون سياسات الإسكان محكومة بمدى التخاذل عن تنفيذها بالنسبة إلى المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> كما بالنسبة إلى التونسيين. يعاني المهاجرون من أوضاع حرجة وأزمة سكن في المناطق الحضرية وشبه الحضرية ويتم تحديد هذا الوضع من خلال عنصرين أساسيين وهما الخصائص التقنية للسكن وغياب أو عدم السيطرة على السكن (حالة الإيواء، عدم وجود عقد، عدم السيطرة على فترة الإيجار، تجارب التخييم والسكن في مناطق غير مؤهلة والسجون والازدحام والظروف غير الصحية ، إلخ) [112]. وستتم فيما يلي مناقشة تجارب المهاجرين الذين يعيشون في ظروف سيئة.

### I. المهاجرون في المدينة

يخضع الوجود الحضري للمهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> إلى عوامل عديدة تُقيّده جزئيا. وتركز جمع المعلومات على المناطق الثلاث التالية: تونس الكبرى وصفاقس وجرجيس من شمال البلاد إلى جنوبها مرورا بوسطها الشرقي وسعت الدراسة إلى فهم الظروف المعيشية للمهاجرين الذين تختلف مساراتهم وتجاربهم حسب مكان الإقامة.

[110] سامي بن فقيرة ومنجي بلارم، "أي مستقبل للإسكان الاجتماعي في تونس؟" ، كوفنز (أونلاين) ، 36 | 2018 ، نُشر على الإنترنت في 30 يونيو 2018 ، تمت اطلاع عليه في 13 يوليو 2022. الرابط : DOI: ; http://journals.openedition.org/confins/13450 https://doi.org/10.4000/confins.13450

[111] تياشي ، ح. المدن الشعبية المبرمجة كحل للإسكان التلقائي في تونس. تونس ، منشورات جامعة تونس 1 ، 490 ص ، 1988.

[112] لينوار ،دانيال. " أزمة السكن : قضية اجتماعية عالمية"، المعلومات الاجتماعية ، المجلد. 184 ، لا. 4 ، 2014 ، ص. 3-3.

## 1. اختيار مدينة للسكن

يتم اختيار المدن المُضيفة للمهاجرين حسب عوامل عديدة ونادرا ما يكون هذا الاختيار هامشيا وهو يقوم على تجارب شخصية وتجارب الآخرين . ويعني العيش في المدينة استثمار وظائفها والانتماء إلى نواميسها فيعد اختيار المدينة أمرا ضروريا لإدراك مستقبل الأشخاص في هذا الفضاء الاجتماعي المجالي ولاستكشاف ظروف السكن التي تختلف باختلاف المدينة المختارة وخصوصياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

### أ. السكن في تونس

من بين الأشخاص المقيمين في تونس والذين تمت مقابلتهم ، تعاملنا مع ثلاثة مهاجرين غير نظاميين وثلاثة مهاجرين في وضعية قانونية وثلاثة لاجئين وطالبة لجوء. قدم خمسة أشخاص مباشرة إلى تونس العاصمة ولم يقيموا في أي بلد عبور آخر ، بينما مر خمسة أشخاص آخرين عبر بلدان مختلفة قبل القدوم إلى تونس (نيجيريا والنيجر ومالي وليبيا والجزائر والمغرب).

#### *مسارات الهجرة*

لقد اختاروا مدينة تونس لأسباب تتبع مساهم الخاص. وفي الواقع تختلف تجربة العاملين النظاميين عن تجربة العاملين النظاميين اختلافا كبيرا وعادة ما يقدمون إلى البلاد بعقد عمل يسمح لهم بمباشرة العمل ، في حين يبحث الأشخاص عن عمل عند وصولهم إلى تونس وتكون فرص الحصول على عمل في مدينة تونس أكبر من المدن الأخرى . ويأتي اللاجئون إلى تونس بحثا عن عمل وللفرار من ذكريات الرحلة المؤلمة التي تطاردهم ولخلق واقع جديد على مقربة من بعض المعارف والأصدقاء.

#### *أسباب الهجرة*

علاوة على ذلك، فإن أسباب الهجرة لها دور مهم في تعديل اختيارات المدن . إذ ، قدم ثلاثة أشخاص لأسباب اقتصادية وشخص آخر قدم كي يحقق حلمه في رياضة كرة القدم ومهاجر آخر قدم بسبب مشاكل عائلية وقدم شخصان فاريين من الحرب في البلد الأصلي وفرت مهاجرة من بلدها الأصلي بسبب الاضطهاد الذي عاشته لما عبّرت عن هويتها الجندرية ، طالبة وشخصان يخططون للمغادرة إلى أوروبا . يحدد العمل والدراسة اختيار هذه المدينة دون غيرها.

#### *الأمن*

إن الأمن دافع مهم جدا . إذ اختارت طالبة لجوء مدينة تونس بالذات بسبب غلبة هذه الفكرة :" يكون العنف في مدينة تونس أقل ويكون الأمن أكثر والحريات أكثر". وتحدثنا إلى متسولة كامرونية قاومت السجن في ليبيا والاتجار بالبشر والعيش في أماكن غير مؤهلة والتشرد فقارنت تجربتها في مدينة تونس بالتجربة التي عاشتها في الجزائر ومدنين وصفاقس قائلة :" لقد قدمت إلى مدينة تونس لأن هنا تفعل ما يحلو لك وتكون بخير دون إزعاج" و تختص المدن بصفة عدم الإنزعاج والقدرة على

الاندماج مع الحشد حيث يقيم عدد كبير من الناس ووصفت مهاجرة متسولة حادثة أجبرتها على مغادرة المدينة التي كانت تعيش فيها قبل تونس ، إذ هددها الأشخاص الذين كانت تدين لهم بالمال وأوسعوها ضربا واعتدوا عليه وكشفت لنا الندوب التي في جسدها أثناء المقابلة وبالتالي ، يمكن أن يفسر الهروب الاستقرار في مدينة تونس بعيدا عن مرأى هؤلاء الأشخاص الخطيرين بالتخفي جيدا كي تكون غير مرئية.

### *طرق الوصول*

وصل أربعة من الذين تمت مقابلتهم عن طريق البر بينما وصل ستة منهم جوا ويعتبر القرب عنصرا توضيحيا لاختيار الجو ويفضل الأشخاص الذين قدموا بالطائرة البقاء في أول مدينة يزرونها بينما يفضل الآخرون الذين سلكوا الطريق عبر ليبيا أو الجزائر المناطق الجنوبية.وهو حال الذين قدموا من هذا الطريق والذين أقاموا في السابق في مدن مدنين وبن قردان وجرجيس أوصفاقس. وتكون مدينة تونس بالنسبة لهم محطة الموالية لهذه المدن التي عبروها بحثا عن موطن شغل وظروف معيشية جيدة وكذلك بحثا عن الأمن. وجاء على لسان مهاجرة ملخصة سبب التواجد في مكان يوجد فيه مطار :" أنا أمكث دائما في تونس لأني علمت أن الأجنبي من الأفضل أن يعيش في العاصمة فإذا ما طرأ خطب ما في البلاد ، تستقلّ الطائرة وتولي هاربا بسرعة ولكن إن كنت تعيش في مدينة صفاقس على سبيل المثال سيصعب عليك القيام بذلك." فيبدو العيش بالقرب من طريق الهروب (المطار) خيارا مناسبا للأجانب المقيمين بالبلد والذين لا يعرفونه جيدا بعد.

### *وجود شبكة*

إن من عوامل القدرة على اتخاذ القرار وجود معارف وأصدقاء في تونس العاصمة وكانت إمكانية إستضافة الأصدقاء للعديد من المشاركين وسيلة لضمان الإقامة عند الوصول أو في الأوقات الحرجة (جائحة كورونا ، استنفاذ المدّخرات وغيرهما). وإن وجود الأصدقاء يساعد على الإستقرار ويطمئن الأشخاص المستضعفين وهم يعوّلون في البداية على وجودهم رغم أنه مؤقت. وقد يبدي الأصدقاء الذين يستقبلون المهاجرين سلوكا إستغلاليا تجاه من يستضيفونهم . وقد تُحدث مجانية المسكن اختلالا في الأسرة وإن قدم الأشخاص الذين تمت استضافتهم خدمات مثل التسوق والتنظيف والطبخ والاستماع غير المشروط مقابل السكن. وإن خطر الانفجار إذا ما حدث سوء تفاهم بين الطرفين لا يستهان به أبدا. في المقابل، جلب معارف إلى تونس العاصمة هي عادة مألوفة وفي أغلب الأحيان يستقر الأفراد الذين تم إيوائهم في العاصمة أين رُحّب بهم لأول مرة إذا سارت التجربة على ما يُرام. ويتم الاختيار حسب مسار الهجرة وسبب التنقل وطريق الوصول إلى الإقليم.وتوجه تجارب عدم الاستقرار ووجود شبكة المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> وجهة تونس العاصمة. وتمتاز مدن أخرى بأمور أخرى ويختارها المهاجرون لأسباب مختلفة.

ب. السكن في صفاقس

تقع مدينة صفاقس في الوسط الشرقي للبلاد وهي مدينة حاضرة في أذهان المهاجرين بصفة خاصة لأنها المكان الذي تكدّست فيه جثث المهاجرين والتونسيين أين غرقت قواربهم في محاولة يائسة للوصول إلى لامبيدوزا. ودعا المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية دفنهم بطريقة لائقة لأن الجثث تحللت وكست مشرحة صفاقس[113]. وتشهد هذه الجثث على أن مدينة صفاقس هي نقطة انطلاق ومحطة مغادرة مع أوروبا ويكمن الخطر في الظروف غير المواتية للمهاجرين الذين رشحوا أنفسهم للهجرة غير النظامية وغالبا ما يكون سكنهم محفوفا بالمخاطر لأنه مؤقت وغالبا ما يكونوا مهمّشون ولا يكترث أحد لأمرهم . كما تشهد المشاجرات والاعتداءات سواء بين المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> والتونسيين أو بين مجموعات مختلفة من المهاجرين على التوترات الموجودة في تلك المدينة بالذات كما تتربص بهم الاعتقالات الجماعية التي يحاولون تجنّبها.

*تكلفة المعيشة*

تتعلق القصص التي جمعناها في مدينة صفاقس بمجموعة من المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> : أربعة أوضاعهم قانونية وطالبان وخمسة مهاجرين غير نظاميين حاليا . ومن بينهم عشرة استقلوا الطائرة وقدم شخص واحد برا مرورا بليبيا والجزائر قبل الوصول إلى هنا. واستقر بعض الذين قدموا جوا في البداية في تونس قبل الذهاب إلى صفاقس التي تكون تكلفة العيش فيها أرخص وأين يوجد الأصدقاء وبالتالي تكون تكلفة العيش عنصرا مهما في اتخاذ قرار البقاء ولاسيما فيما يتعلق بأسعار الإيجار والتي تختلف عن تلك الموجودة في العاصمة.

*المغادرة إلى أوروبا*

تكون أسباب الهجرة مختلفة: يهاجر الطلبة لاستكمال دراستهم ويصبو ستة أشخاص إلى عبور البحر الأبيض المتوسط ويسعى شخصان إلى تحسين الوضعية الاقتصادية ويود شخص واحد فقط العودة ولكنه لا يستطيع بسبب عقوبة تجديد تصريح الإقامة. ويختار الطلبة المقيمون في صفاقس المدينة لأسباب تتعلق بالعروض التي تقدمها الجامعات سواء كانت عامة إذا كانوا ممنوحين من الدولة أو خاصة لأن صفاقس تقدم العديد والعديد من الدورات الجامعية التي تتلائم مع احتياجات المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> وهي تعزز حضورهم من أجل أهداف ربحية. ولدى العديد منهم مطامعا في العبور إلى أوروبا عن طريق صفاقس وتكررت عبارة <<عبور البحر الأبيض المتوسط >> تلقائيا في العديد من المقابلات. ومن الرغبة في الانتقال إلى الضفة الأخرى تكون أحيانا موجودة في البداية وترتبط أحيانا أخرى بخيبة الأمل في تونس أو في الطريق . ويروي شخص من ساحل العاج عمره 32 سنة وهو مهندس ولكنه أصبح عامل بناء رحلة هجرته و أخبرنا أنه التجأ إلى مهرّب سهّل له العبور من مدنين وجرجيس وبن قردان إلى مُخيّم الشوشة في تطاوين تجسد

[113] المنتدي التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية. دعوة إلى دفن جثث المهاجرين دفنا لائقا، 4 ماي 2022، https://ftdes.net/appel-pour-un-enterrement-decent-des-corps-des-migrants/

المخرج في شخص إنسان وظفه . وهو يدخر الأموال لمحاولة الذهاب إلى أوروبا بعد فشله في ذلك سنة 2019. وتبدو مدينة صفاقس مدينة المغادرة وتحقيق أهداف الهجرة.

### *الهروب من التجارب السيئة*

يفر الأشخاص القادمون إلى البلاد بعقد عمل من المدن الأخرى أين يُرحّب بهم ويختارون مدينة صفاقس أين توجد المعارف والترحاب. وفي هذا السياق تقص مهاجرة تعمل في السوق في صفاقس علينا قصتها وتجربتها الأولى في تونس التي جعلتها تصل إلى هذا الإستنتاج :" كانت تجربتي الأولى في تونس العاصمة في منزل المشغِّل أين قضيت سنة كاملة في ذاك المنزل وذلك للقيام بأعمال منزلية ، لم يكن مرحّب بي ولم أحض بغرفة مستقلة ، كان الأمر صعبا جدا مع صاحبة البيت وحتى بالنسبة إلى الطعام لم يكن المطبخ مجهزا بل كان يتعين علي أن أقتني أغراضا وهم يفترشون لي ملاءة على الأرض كي أنام عليها." فمدينة تونس هي مكان للانطلاق ومكان للهروب أيضا. ويتوجه الاشخاص الذين يعيشون ظروفا مأساوية إلى هناك ويعود الفضل جزئيا إلى أهمية الشبكة المجتمعية الموجودة في المدينة.

### *وجود شبكة مجتمعية*

ويحفّز وجود مهاجرين آخرين ويطمئن لاختيار هذه المدينة بالذات ويتعلق قرار الانتقال ب<<ثمة سود هناك>> . بينما تتزايد العنصرية ، تصبح الحاجة إلى التواجد مع الجماعة حلا يختاره العديد من المهاجرين كي يحقق الأفراد لبعضهم البعض التعاون والحماية. إذا، يتم اختيار مدينة صفاقس حسب احتياجات السكان المقيمين هناك . ومن دواعي هذا الاختيار نذكر : عروض الدراسة الجامعية في المدينة والموقع الجغرافي الذي يسمح بالهجرة غير النظامية إلى أوروبا والدعم المجتمعي في المدينة وتكلفة المعيشة الأقل نسبيا من تونس العاصمة.

## ج. السكن في جرجيس

تقع مدينة جرجيس في جنوب شرق تونس وهي مدينة عبور للعديد من المهاجرين غير النظاميين ويستقر فيها العديد من اللاجئين وطالبي اللجوء المقيمين في مراكز الإيواء التي توفرها المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وفي أحياء المدينة وتختلف قصص حياة الأشخاص المُقيمين في جرجيس عن اللاجئين الذين يسكنون في ولايات أخرى بسبب وجود لاجئين إما تستضيفهم المفوضية أو يقيمون بالقرب من أماكن مساعدة اللاجئين.

ولقد تحدثنا إلى سبعة لاجئين وستة مهاجرين غير نظاميين، ولأربعة منهم أهدافا إقتصادية ويخطط إثنان منهم في الذهاب إلى أوروبا . ومن بين اللاجئين ، ولى ثلاثة أشخاص هاربين من جماعة بوكو حرام في الكامرون وطلب ثلاثة آخرون اللجوء السياسي و كان شخص آخر قد شهد على قريته

تحترق بسبب المتمردين في ساحل العاج. وقدم عشرة أشخاص سيرا على الأقدام في حين أنقذ الصيادون في جرجيس شخصا إيريتريا وقدم إثنان آخرون إلى تونس عبر الجو.

### *الاختيار الحر مقابل الاختيار الإجباري*

تختلف أسباب الاستقرار في هذه المدينة حسب خصوصيات المدينة وسكانها ويكون ذلك خيار في بعض الأحيان أو حقيقة لا مفر منها في أحيان أخرى . فالشخص الإيريتري الذي أنقذه الصيادون في البحر بعد أن بائت محاولة وصوله إلى أوروبا بالفشل ، كان مكان إنقاذه هو المكان الذي يستقر فيه وهو أيضا المكان الذي التقى فيه برفاقه الذين تقاسموا معه حياته اليومية .

ويتبع الاستقرار هنا عدة رحلات : الحرب، الهروب، السجن، الموت، السكن في منازل مسكونة وآيلة للسقوط، المخيم ، السجن في مدنين بسبب عبور الحدود بطريقة غير قانونية ، منازل المهاجرين، طلب اللجوء المحفوف بالمخاطر،إلخ..

قال زوجان لاجئان :" لم نكن نرجو سوى الاستقرار في مكان آمن نحن وعائلتنا." إن التواجد في هذه المدينة يعني أنك من ضمن الناجيين ويكفل الوجود الإنساني استقرار المحتاجين وبقائهم في المدينة.

### *المساعدة الإنسانية*

تعتبر المساعدة الإنسانية عنصرا مهما أيضا. يؤكد الزوجان أنهما تمكنا من الحصول على مساعدة مالية قدرها 300 دينار من قبل جمعية أجير كوماتر رايونير وعلى قسائم طعام بقيمة 100 من قبل المنظمة الدولية للهجرة وعلى منحة قدرها 200 وإقامة في مقرات المفوضية. وإن مكان الإقامة هو مكان للمساعدة تنضوي تحت لوائه العديد من المنظمات التي تساعد اللاجئين وطالبي اللجوء. وإن إنشاء شبكة للتواصل والتعرف على الموارد المتوفرة في مكان معين يحفّز الأفراد على البقاء.

### *البحث عن عمل*

علاوة على ذلك، يأتي البعض إلى جرجيس بحثا عن عمل لأن "جرجيس منطقة سياحية وهناك القليل من العمل". يغدو العمل في قطاع السياحة فكرة ممتازة تسترعي انتباه المهاجرين غير النظاميين وبعض اللاجئين الذين خيّبت مساعدات المنظمات الإنسانية آمالهم. فيستقرون في مدينة جرجيس كي يجدوا عملا ويتم استغلالهم في أغلب الأحيان رغم أن أجسادهم واهنة وتجاربهم يُندى لها الجبين وإن طريقة انتدابهم تكون خاصة ،إذ أخبرنا مهاجر غير نظامي أنه وجد عملا في قطاع السياحة لما كانوا في مخيم الشوشة وغادر مع الأشخاص الذين انتدبوه واستقر في جرجيس أين يعيش من ذلك الحين.

*وجود شبكة مجتمعية*

لا تقل مسألة الشبكة أهمية وفي أغلب الأحيان يقدم الأشخاص إلى هذه المدينة لملاقاة الأصدقاء وأفراد من أسرتهم يعيشون في هذه المدينة. وإن الاستراتيجية المتّبعة غالبا تتمثل في التملص من عقد عمل ملزم عبر تغيير المدينة وذلك تجنبا للأعمال الإنتقامية التي قد تترتب عن ذلك.ويرتبط العيش في هذه المدينة أيضا بتمثيل معين لعادات سكانها التونسيين. ومن محفزات الاستقرار في المدينة : الهدوء الذي يعم أرجاء المدينة في حين "توجد حركة كبيرة " في مدن أخرى من البلاد.وإن الأمن والسمعة الجيدة يندرجان ضمن معايير المدينة أيضا.

وفي هذا الصدد قالت مهاجرة مفسّرة هذا الخيار:" علمت أن في هذه المدينة يتم الاعتناء باللاجئين وبسكنهم أيضا ولا يوجد عنف في هذه المدينة." وروى مهاجر آخر الممارسات العنيفة التي سُلِّطت عليه في مدينة أخرى من الجنوب التونسي وتوقع أن تكون العقليات مختلفة في هذه المدينة باعتبار أن الموطنين في جرجيس حسب ما خبره أقل عنصرية من غيرهم.

## 2. الإختيار والسكن في حي

### أ. في تونس العاصمة

ينتشر المهاجرون الذين يعيشون في مدينة تونس في منطق البحر الأزرق وحي الخضراء والعوينة وأريانة وسكرة (برج الوزير ونجمتار) . وإن هذه الأحياء المسماة "شعبية" تتميز بقربها من أحياء الأثرياء وتواجد العديد من المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> فيها. ويختار الأرفراد هذه الأحياء بسبب القرب ومتانة أواصل الرابطة المجتمعية فيها. كما أن أسعار الإيجار أقل تكلفة من الأحياء الغنية المحيطة بها ويلقى المهاجرون ترحيبا أكثر في هذه الأحياء.

*الأمن*

إن الأمن والهدوء من العوامل المهمة والحاسمة لاختيار الحي . وقال البعض أنهم اختاروا هذه الأحياء لأنهم توقعوا أنها هادئة ، ولكنهم فوجئوا بالاعتداءات والسرقات وهي ليست حالات منعزلة في الأماكن التي يقيمون فيها. يصف مهاجر مكان إقامته قائلا:" يكون الاعتداء في أكثر من أغلب الأحيان بالسكاكين لافتكاك الهواتف وإن العيش في مكان مثل هذا أمر لا يُطاق فمنذ خروجك على الساعة 11 مساءً أنت معرض لخطر الهجوم." ويقول البعض أن انعدام الأمن في المكان الذي يسكنون فيه يحول دون استقرارهم هناك ويدفعهم إلى الإنتقال إلى أحياء أخرى. وهم في حقيقة الأمر يفضلون "المناطق التي تقل فيها الاعتداءات" ويتسائل أحد المهاجرين:" لما نتواجد في بلد معين ، نحن نعتبر أنفسنا مواطنين مثل مواطنيه لذا نُبيح لأنفسنا حق الخروج من المنزل أو البقاء فيه ولكن السكن في حي محفوف بالمخاطر يمنعنا من التمتع بهذا الحق."

إن انعدام الأمن مشكلة مهمة ورئيسية تكبّل المهاجرين وتعيقهم من الخروج وتجعلهم حبيسي لمنزل. ويغدو الاندماج صعبا في البلد المُضيف إن كان خروج المهاجر من منزله لاستكشاف المناطق المحيطة متأخرا أو العودة متأخرا من العمل أوالخروج للنزهة في وقت متأخر يهدد حياته.

### *وجود شبكة مجتمعية*

ومع ذلك فإن وجود شبكة مجتمعية ضروري أيضا لمجابهة الصعوبات وأحيانا يتم اختيار المكان وفقا لوجود هذه الشبكة . ويروي مهاجر مغامر الحي الذي يسكن فيه واصفا:" إنه حي مدينة أريانة أين يوجد العديد من الأشخاص القادمين من <<جنوب الصحراء>> " ويحدد وجود الجماعة الأحياء بالنسبة للشعوب المعنية. كما يعد أحد الضمانات الوحيدة والمتاحة للأشخاص غير المستقرين أوالوافدين حديثا والمقيمين مع أشخاص بينهم رابط وثيق.

### *قلة الخيارات*

أحيانا ، لا يتم التفكير ماليا في الحي ويكون الحي الذي يستقبل اللاجئين هو الحي الذي يوجد فيه أصحاب منازل يقبلون إسكانهم . وعلى سبيل المثال تقول مهاجرة:" لم ننزعج ، كنا فقط نبحث عن منزل للإيجار،وما إن نجد ذلك المنزل سنستأجره," ويكون الاستقرار أحيانا نتيجة للهروب. وقالت مهاجرة إنها قدمت إلى حي البحر الأزرق بعد الفرار من منزل صديقها وهي تسكن لدى صاحبة بيت قبلت أن تأويها مقابل خدمات منزلية.

### *القرب من <<المدينة>>*

ومن دوافع قدومهم أيضا المكوث في مقاهي ومطاعم جيدة واكتشاف الحياة التي يطمحون إليها. وإن هذه الأحياء قريبة من أحياء الأثرياء فتسنح لهم بالمكوث بالقرب منها وتأمل المناظر الخلابة والفيلات. ويضطلع مخيال الهجرة بدور مهم لهيكلة العلاقة مع هذه الأماكن. وينجز المهاجرون مشروع الهجرة الذي قد يقرّبهم من المثل الأعلى المتصوّر وإن الدنو من هذه المثالية يغذي آمالهم التي حاكوها ويعطيهم جرعة من الأمل وإن كانت ظروفهم سيئة في الوقت الحالي.

### *الحصول على الخدمات العامة*

ومن دوافع إختيار أحياء دون أخرى هي قرب مكان العمل من مكان السكن ووجود وسائل النقل. ولا يمكن التغاضي عن القدرة على المشي وركوب التاكسي الجماعي عند البحث عن سكن فهي أمور مهمة أيضا. في المقابل، قد يختار البعض الأحياء الهامشية والتي يصعب الوصول إليها لأنهم يرغبون في الاندماج مع الحشد وهو ملاذ يفرض نفسهم لهؤلاء الأشخاص. بعد اشهر عاشت "ك" في الشارع وبعد ذلك في مقبرة تمكنت من العيش في حي قبلها رغم تدهور صحتها ويعد ذلك انجازا. وهي تتسول لكسب لقمة عيشها وتدبّر مسكنها ما استطاعت وقدر الإمكان. ولكن تهيمن الاعتداءات العنصرية وانعدام الأمن والبعد عن وسط المدينة وهي أمور شاءعة جدا. ومنه يرتبط اختيار الحي بأهداف المهاجر. ومع ذلك تمتاز جميع أحياء تونس المختارة بطابعها "الشعبي"

وبقربها من الأماكن الثرية وبوجود شبكة مجتمعية مهمة . وهي أيضا أحياء حضرية تقطن فيها أجيال الهجرة الداخلية.

ب. صفاقس

يسكن المشاركون المقيمون في صفاقس في أحياء مختلفة من المدينة فمنهم ثلاثة أشخاص يعيشون في شارع المطار (3.5 كم) وشخص واحد يسكن في شارع سيدي منصور (4 كم) وواحد في الشعبوني (6كم) ومهاجر واحد يسكن في طريق قابس (8كم) ويعيش إثنان في شارع تونس (9كم) وإثنان يعيشان في شارع المهدية (10كم) وشخص آخر في طريق منزل شاكر (11كم) وتشير الكيلومترات إلى المسافة بين وسط المدينة وهذه الأحياء. وبالتالي تعاملنا مع الأحياء القريبة نسبيا من وسط العاصمة وأحياء أخرى بعيدة.

### *وجود شبكة مجتمعية وقبول المهاجرين*

كما هو الحال في مدينة تونس ، إن وجود شبكة مجتمعية قوي في الأحياء المُختارة. ويستقبل المهاجرون القادمون من <<جنوب الصحراء>> أشخاصا يعرفونهم من قبل. فإن قدوم أخ أو غبن عم إلى المدينة يعني بكل بساطة أن ذلك الشخص سينتقل للعيش مع عائلته إلى أن يجد مسكنا وفضلا عن ذلك يكون وجود مهاجرين آخرين يشاركونهم نفس التجربة أمر مطلوب.

وتُفسّر طالبة ذلك بناءً على أهمية وجود طلاب آخرين كي تقرر الانتقال:" لقد اخترت هذا الحي لأن فيه العديد من الطلاب كما يوجد العديد من الطلاب المهاجرين ولدي أصدقاء في هذا الحي أكثر من الحي القديم كما أن هذه المنطقة هادئة وآمنة وحفزتني كل هذه الدوافع على الانتقال إلى مكان جديد وتسائلت مخاطبة نفسي: لم لا التغيير؟ وفي حقيقة الأمر شجعتني صديقتي التي تشاركني نفس الشقة على ذلك."

وفي الواقع يمكن صياغة ما قالته على هذا النحو: بعض الأحياء تستقبل المهاجرين وغالبا ما توصف "هنا يسكن السود" لذلك فإن هذا الانفتاح أمر حاسم لتنظيم الحي والشرائح الاجتماعية التي تعيش وستعيش فيه.

### *تبادل المعلومات من شخص إلى آخر*

يمكن أن يساعد التونسيين أصدقائهم من المهاجرين على إيجاد سكن يكون على مقربة من حي الشخص الذي ساعدهم على إيجاده. تقول مهاجرة أن صديقة تونسية لزوجها ساعدتها على إيجاد هذا المسكن لأن لم يبدي أحد استعداده على استئجاره لعدة أسباب فالحياة صعبة في ذلك الحي

وهي تضطر للمشي لمسافة كلمترين للعثور على سيارة أجرة ويرمي الأشخاص في الحي الحجارة على بابها ويطرقونه لتخويفها.

### *تجربة إنعدام الأمن*

في أغلب الأحيان ، تكون الأحياء التي يقيم فيها المهاجرون محفوفة بالمخاطر وتختص بانعدام الأمن الذي يعمها. ويسودها الخوف من الاعتداءات والسرقة ولا تكون وسائل النقل فيها دائما متوفرة. ورغم ذلك، يستقر المهاجرون فيها بسبب نقص الموارد وبسبب الخلافات مع السكان وأصحاب العقارات الذين يدفعونهم للعيش في أحياء خطيرة. ويروي مهاجر تجربته في الحي الذي يقيم فيه قائلا:" إن الوضع خطير بعض الشيء ، توجد الكثير من الاعتداءات هنا في الصيف أي اعتداءات التونسيين فانطلاقا من الساعة 6 مساءً لا يحق لنا الخروج للسير في الحي وإلا سنتعرض للاعتداء والضرب بالعصا مثلا."

عند الخروج من المنزل يكون احتمال التعرض إلى هجوم في الحسبان، مما يثير التساؤل حول حق المهاجرين في التنقل في الأماكن العامة وهي تُعيق العديد من الفرص التي يمكن ان ترى للوجود سبيلا. ويكون وجودهم في هذه الأحياء مشروط بالخطر. وبناءً على ما حصل ينتقلون إلى أحياء أخرى تمتاز بالأمن أكثر من غيرها . وإن عدم الاستقرار الذي ينجم عن التنقل المتكرر مُعيق بالنسبة للمهاجرين.

ج. جرجيس

يعيش من بين المقيمين في جرجيس أربعة في وسط المدينة وأربعة في السهيل وواحد في دوار الزيتون ويعيش آخر على بعد 4 كيلومترات من وسط المدينة ويعيش ثلاثة في نزل المفوضية الذي يبعد 10دق بالسيارة خلف معرض الزيتونة والذي يسميه المقيمون هناك :"الغابة الإفريقية"

### *عدم الاستقرار*

تختص ظروف السكن بعدم الاستقرار. تقول مهاجرة أنها لاتكترث لإسم الحي الذي تعيش فيه وهي تحدد مكان إقامتها الرئيسي بمقهى معروف في المدينة وبأماكن أخرى أقامت فيها (مع صديقتين تزورهما لما يغادر الأزواج للعمل في المساء) بالقرب من أماكن محددة (مسجد، ملعب). وهي ليست الوحيدة التي لاتعرف إسم الحي الذي تسكن فيه مثلما لا يستطيع الكثير من التونسيين تسمية مكان إقامتهم بسبب تخطيط المدينة نفسها.

### *الوصول إلى العمل*

إن الأحياء هي أماكن للتنشئة الاجتماعية وهي تسمح بإمكانية الحصول على عمل . يحدثنا مهاجر كيف حصل على عمل قائلا:" أقف كل صباح في الخامسة أو السادسة صباحا أمام مغازة كارفور وما إن

مر أحد يريد أن يُشغِّل عاملا يأخذني معه." ويسمح هذا القرب بإمكانية العثور على عمل وكسب لقمة عيش.

### *البحث عن الهدوء*

علاوة على ذلك، إن الهدوء المنشود صعب المنال. وإن الذين يختارون المدينة يجب أن يتحملوا ضجيج السيارات والدراجات النارية الذي يبقيهم مستيقظين ، كما أن الابتعاد عنها ينجر عنه مشاكل أخرى كالبعد عن وسط المدينة والشعور بالعزلة وصعوبة العثور على وظيفة.

### *صعوبات الحصول على سكن*

إذا كنت مهاجرا أو طالب لجوء ، فمن الصعب العثور على سكن بالنسبة إلى الاشخاص الذين لا يملكون شبكة تسهّل استقرارهم . ويفضل سكان جرجيس كمنطقة سياحية تأجير منازلهم للسياح أو للزوار الذين "يدفعون أفضل" من المهاجرين وغالبا ما يطرد صاحب المنزل المهاجرين في الصيف حتى يتمكن من تأجير منزله للمصطافين . ويتفق بعض المهاجرين مع صاحب المنزل على الإقامة في الشتاء فقط . وبناءَ على هذا استأجر مهاجر م من أصل مالي منزلا بسعر أغلى كي يؤمن الاستقرار لزوجته وأطفاله وكي لا يتنقلوا كثيرا من منزل إلى آخر.

### *التباعد والاستبعاد*

يعيش اللاجئون الذين يسكنون في مأوى تابع للمفوضية في مكان منعزل يسمى ب"غابة إفريقيا". ويصعب التعايش مع هذه الغربة وهم يترقبون الانفراج وتبدّل الأوضاع إلى أجل غير مسمى ، مما يؤثر على حالتهم النفسية. فيعتريهم اليأس ويفقدون الأمل في المؤسسة الإنسانية. وصرخ لاجئ شاب بنبرة ساخرة قائلا:" هل يعيدونا توطيننا بهذه الطريقة؟ نحن في العدم ، ألا يمكن أن ينقلونا إلى وسط المدينة؟ ." يطول الانتظار لمدة سنوات مما يعمّق الشعور بالإقصاء أكثر فأكثر:" نحن لانعرف التونسيين بعد. أين يمكن أن نجدهم نحن معزولون ونستغرق 10 دق بالسيارة للوصول إلى منازلنا وهم يسموننا غابة إفريقيا. هنا تتجول الحمير ويوجد لاجئين من إريتريا والسودان وأثيوبيا." وتوحي خصائص المكان الذي يقع فيه المنزل بمحاولة الإقصاء وتذويب الهويات. فمن الصعب التنقل إلى وسط المدينة وهم يعولون أكثر فأكثر على المساعدات الإنسانية. وإن طلب منهم الهيكل تدبير أمورهم لأن المفوضية غير قادرة على تأمين المال الازم والمأوى ، يصعب عليهم ذلك جدا. وإن كلا المكانين غير مرغوب فيهما ، إذ يعمل المبيت وفقا لمنطق المخيم .وفقا للنموذج الأمني لإدارة الهجرة ، يكون المركز مكانا يضعف اللاجئين وطالبي اللجوء الطين يتم فرزهم ويكبّلهم.

## 3. التمركز في المجال الحضري

لا يكون اختيار المدينة أو الحي أهرا هامشيا . إذ تدعم هذا الاختيار مجموعة متنوعة من العوامل وقد تكون مادية أو شخصية. وإن استقرار الأفراد وإندماجهم في المناطق التي يسكنون فيها ستعتمد على العوامل المؤثرة في تجارب المهاجرين ومستقبلهم. في نفس الوقت، فإن وجودهم

في هذه الأماكن يبني المجالات المعينةحسب تمركزهم والصعوبات التي يعيشونها وهم يتفاعلون في الأماكن ويتملّكونها ويؤثرون فيها. يعتبر ماريون سيجود (2010) أن في كل تنظيم مجالي يوجد شيء من الاجتماعي المتحرّك[114].

يعد القرب والمسافة من القضايا المهمة التي تنشأ عن المكان المُختار من المجال العام. ويؤدي التمييز الممارس في حق المهاجرين واستبعادهم إلى هيكلية المجال المعني. غالبا ماتتم إتاحة المجال السكني الحضري بصفة غير رسمية. وتكون بوابات ولوج هذه المدن وهذه الأحياء التي يسكنها المهاجرون القادمون من <<جنوب الصحراء>> منها المساعدات المتبادلة والتضامن والتجمع المجتمعي. وبالتالي يكون التمركز المجتمعي في أحياء معينة. وحسب دراسة أُجريت سنة 2017 يؤكد 64 ٪ من المهاجرين القادمين من جنوب الصحراء أنهم استخدموا التجمعات السكانية[115]. ومن العبارات التي تبين إندماج هذه الفئة نذكر:" هنا ، أين يسكن السود" و "هذا المكان لأنه لا يوجد العديد من السود فيه". وإن تفضيل تواجدهم يدل على إقصائهم في أماكن أخرى. في الواقع يرتبط الاندماج في المدينة بغدم الاستقرار والاقصاء وتتزايد التفاوتات الاجتماعية والحضرية وهو إجراء متجذر في التمدّن النيوليبرالي[116]. ويعني الاندماج في المجال الحضري أن تكون جزءًا من طريقة حياة معينة ومن تنظيم للعمليات الاجتماعية (التوظيف والخدمات العامة والترفيه ومشاركة المواطنين. وعلى نقيض ذلك، أن تكون مقصيا يعني أن تُستبعد وألا تتملك هذا المجال المعني[117].

وبما أن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> عرضة للتفرقة الإثنية والعرقية ، فيتم قبولهم في الأحياء المهمشة مثل الأحياء التي تستقبل الأشخاص المهاجرين هجرة داخلية. وبالتالي هم يسكنون في هذه المجالات كمستخدمين للمجالات وللخدمات العامة [118] وهم يتأثرون بأوجه القصور في هذه المجالات.

يتم تنسيق الحياة الاجتماعية للمهاجرين حسب احتياجات العمل وحسب تدبّر الحال. ويكون الحي إما مكانا يمكّنهم من العثور على عمل أو يقرّبهم من فرص العمل. علاوة على ذلك، تعد الأحياء مجالا للتواصل الاجتماعي وإن العلاقات التي تنشأ داخله تقي المهاجرين هول المصاعب التي قد تعترضهم وإن الصداقات وشبكات الدعم ترافق المهاجرين وتساعدهم وقت الحاجة[119]. فضلا عن ذلك، لا يقتصر تكوين المجال الاجتماعي على الأحياء الحضرية التي يسكنها المهاجرون على هوامش المدن المختلفة. وتشهد الأماكن التي يتم إيواء طالبي اللجوء واللاجئين والمهاجرين غير النظاميين <<غير المرغوب فيهم>> على ديناميكيات معينة. وقد روى عدد من الذين جرت مقابلتهم تجربة العيش في المخيمات . وتتضمن تجربة التخييم ، على حد تعبير ميشيل أجير (2011) المسائل الإنسانية والتخطيط الحضري والسياسة الحيوية. وترجع المخيمات إلى مجالات متعددة: كلها أماكن يتم استبعاد

[114] عبدالمجيد محمد. أنثروبولوجيا الفضاء: السكن والتأسيس والتوزيع والتحويل. أرماند كولين ، 2010.
[115] المنظمة الدولية للهجرة. دعم الركيزة الإنمائية لبرنامج التنمية الإقليمية والحماية لشمال إفريقيا (RDPP NA). تقييم احتياجات المهاجرين والمجتمعات المضيفة في تونس توليف 2017 (محدث 2018) ، https://bit.ly/3At2yPb
[116] هارفي ديفيد ، 2008 ، "يمين المدينة" ، نيو ليفت ريفيو ، رقم 53 ، ص. 23-40.
[117] عبدالمجيد عبدالله. "وصم الأراضي في عصر التهميش المتقدم". القوة الرمزية في السياقات الثقافية. بريل ، 2008. 43-52.
[118] توريس ، أندريه. "عمليات الحكم الإقليمي. مساهمة الأقارب". لـ 2 (2011): 114-122.
[119] أوثير ، جان إيف. 16. مسألة "آثار الجوار" في فرنسا. الاختلافات السياقية وعملية التنشئة الاجتماعية "، محرر جان إيف أوتييه ، لو كوارنتير. الاكتشاف ، 2007 ، ص. 206-216.

المنفيين فيها وهي تشمل مراكز الإيواء التابعة للمفوضية والاستيلاء على مركز الوردية ومخيم الشوشة، إلخ. وهي أماكن عزل ولا خيار أمام المنفيين سوى البقاء[120]. ويحدد التخييم تجربة الخضوع إلى تقنيات الإدارة والمراقبة والفرز الأمني للتنقل.وهو بالنسبة إلى كارولينا كوبلينسكي (2010) " طريقة إدارة لطالبي اللجوء تختص بالاستبعاد، .. في المجال وفي زمن هامشي. "[121]. تشهد هذه الأماكن أيضا على الاستبعاد بالمعنى الجغرافي والذي قصّه علينا من جرت مقابلتهم كشكل من أشكال الاستبعاد المؤقت والرمزي. ويُمنع الأشخاص الذين يعيشون في هذه الأماكن من إمكانية الإندماج في المجتمع المُضيف سواءً عن طريق زيارة المركز أو الأشخاص. إنهم يعولون على المساعدات التي تُدفع على أقساط زهيدة ويتم تكوينه اجتماعيا كمتلقين عاجزين عن تدبر حال أنفسهم.

### 4. مواقع الولوج الى سكن

يتوجه المهاجرون القادمون من <<جنوب الصحراء>> إلى المواقع غير الرسمية للحصول على سكن. وهم يعتمدون على الشبكة المجتمعية التي تخصهم للحصول على أول منزل. فيكون أخ أو ابن عم أو صديق أو معارف من نفس البلد وسطاء بين المهاجرين ومقدمي خدمات التأجير. وبالتالي، تعد الشبكات الاجتماعية أداة مهمة لأولئك الذين ليس لديهم شبكة نافذة. ويتوجه بعض المهاجرين إلى مواقع مثل "طيارة" أو بعض المجموعات على الفايسبوك لاستشارة التونسيين والجماعة القادمين من <<جنوب الصحراء>> والذين قد يساعدونهم على الاستقرار لمقابلة أشخاص أو للعثور على سكن أو شريك في السكن.

### 5. الحق في السكن, الحق في الخدمات؟

يعني الحق في السكن الحق في الحصول على مجموعة من الخدمات التي تمثل أساس السكن في مكان معين. يجب أن يكون التمتع بالحق في السكن مرفوقا بإتاحة وسائل النقل والخدمات الصحية ودور العبادة وخدمات رعاية الأطفال والخدمات المصرفية والأسواق والترفيه وماإلى ذلك. يعيش المهاجرون القادمون من <<جنوب الصحراء >> عادة في أماكن سيئة. وإن أوجه القصور في هذه الأماكن لا تقتصر على المجال الداخلي للسكن. يمكن أن تعمم على البيئة الخارجية وبالتلي تحد من مجالات التنقل وإمكانيات استكشاف المهاجرين.

#### أ. النقل

إن خدمة النقل مهمة جدا بالنسبة إلى المهاجرين فهي تسمح لهم بالتنقل للعمل أو الذهاب إلى الجامعة ، فهو من أهم العوامل الحاسمة التي يعتمد عليها تحقيق مشروع الهجرة. وأكد بعض الأشخاص الذين جرت مقابلتهم والذين يعيشون في تونس الكبرى أنهم يجدون مشكلة في التمتع بخدمة النقل. وإن سهولة توفر هذه الخدمات تتنوع بين الميترو الخفيف والحافلة والقطارات وسيارات التاكسي جماعي وسيارات الأجرة الفردية. وأفاد آخرون بعدم تمكنهم من الحصول على هذه

[120] انتراند وكارولين وبيير ارنو بيروتي. "تنوع المعسكرات للأجانب في أوروبا: عرض خريطة مخيمات ميغريوروب". الثقافات والصراعات 57 (2005): 71-90.

[121] كوبلينسكي، كارولينا. 7. "هل هم لاجئون حقيقيون؟" الاقتصادات الأخلاقية المعاصرة. الاكتشاف ، 2012. 155-173.

الخدمات ويضطرون إلى القيام بتنازلات للحصول على إيجار بأسعار معقولة. ويتعلق ذلك بالاضطرار غلى تقديم تنازلات للحصول على إيجار بأسعار معقولة. وقد تقتضي الحاجة اختيار وسيلة نقل معينة وفقا للصعوبات التي يمكن أن يتسبب فيها اختيار آخر وقالت مهاجرة إنها تستقلّ سيارة أجرة كي لا تضيع ساعات في الطريق وتصل أوتعود من العمل في الوقت المحدد لأن لديها طفل ينتظرها في المنزل.إن سكان جرجيس وصفاقس لديهم إمدادات وإمكانيات أقل لاختيار وسائل النقل التي تتوافق وظروفهم المادية بسبب قلة العروض في مدينة إقامتهم.وغالبا ما تكون مسألة جودة وسائل النقل موضع شك. قال مهاجر يعيش في المدينة: يجب أن تركض من مكان إلى آخر." وترتبط عدم إتاحة وسائل النقل بنقص وعدم انتظام مواعيد الحافلات والميترو . ومنه يتعين على المهاجرين مثل التونسيين التعامل مع مشكلة وسائل النقل من الازدحام إلى عدم انتظام مواعيدها . وفي جرجيس ، ينقل اللاجئون إى مكان بعيد عن وسط المدينة  لذلك يضطرون للتنقل للقيام بمهامهم. وقال اللاجئون السودانيون الذين تحدثنا إليهم أنهم يضطرون إلى ركوب تاكسي بكلفة 5 دنانير يوميا وبما أنهم لا يتلقون مساعدة كبيرة فهذا المبلغ يعتبر كبيرا يوميا . أما بالنسبة إلى الشاب ك الذي يبلغ من العمر 21 عاما فيردف :" نحن في مكان منعزل ومعدم وللذهاب إلى أقرب بقالة واقتناء مشتريات نسير على الأقدام لمدة نصف ساعة فنحن منعزلون عن العالم بأسره." وكما يعاني بعض المهاجرين من الممارسات العنصرية والجنسانية عند ركوب سيارات الأجرة الفردية . وتروي إمرأة مهاجرة جرت مقابلتها ما حدث لها مع سائق الأجرة الذي لمسها وطلب منها "ممارسة الجنس" معه. وفضلا عن ذلك، قد يعاني البعض من رُهاب الأجانب أثناء وجودهم بمفردهم في السيارة. ويصرح مهاجر :" آخر مرة ركبت فيها سيارة أجرة قال لي السائق لم لا تبرح بلدك؟." ومن لهذه التجارب الصعبة أن تمنع المهاجرين من الإستفادة من حقهم الأساسي في الإدماج.

ب. الصحة

إن الخدمات الصحية ضرورية للأشخاص الذين في حاجة إليها وتتدهور الحالة البدنية والعقلية للعديد من المهاجرين الموجودين في الإقليم بسبب جائحة كورونا وما تكبّدوه من مشاق في الطريق وفي نفس الوقت يصعب الحصول على الرعاية الصحية الازمة. مما يدعو إلى التساؤل حول كيفية الحصول على الرعاية الصحية وتكاليفها الباهظة دون توفر مساعدات مالية تفي بالغرض. يحدّثنا مهاجر عن زوجته حين جاءها المخاض :" لم أتمكن من الحصول على رعاية صحية وتعيّن علي دفع حوالي 500 دينار لأن زوجتي ولدت ولادة قيصرية، لا توجد مساعدات."

وتعود هذه الصعوبات إلى اهتراء البنية التحتية وتوزيع المستشفيات بطريقة غير متكافئة في البلاد . وفي نفس هذا السياق قصت علينا سيدة كامرونية تنقلها لما كانت مريضة للغاية. وكان من الضروري أن تتنقل لتلقي العلاج الازم لأن المستشفى التي كانت تقيم بها تفتقر للوسائل الازمة لرعايتها رعاية جيدة. وعلاوة على ذلك، إذا لم يتلقى اللاجئون المساعدات الازمة من المنظمات المعنية تزداد صعوبات التمتع بالرعاية الصحية. وتردف قائلة:" أنا مريضة جدا وفي عيادة خارجية وهم

يقولون أني أعاني من مشاكل صحية عديدة وأمراض مزمنة لم تتابعني أحج من جمعية أجير كوماتر ريونير التي أعول عليها ولكن الرئيس يبذل قصار جهده للمساعدة."

توصف محاولات العلاج النفسي على أنها غير فعالة بالنسبة للاجئين الذين تبدو عليهم أعراض الاكتئاب وحتى الأفكار الانتحارية ويكون ذلك نتاج احتياجات أخرى أكثر الحاحا (الغذاء والصحة البدنية والسلامة والسكن والحاجة إلى رؤية الأطفال مرة أخرى) وأن تكون ذات بشرية كما تهمل العلاجات (غالبا ما تكون موجزة وغير متقنة).

ج. تقديم الدعم باعتبارهم لاجئين

في حقيقة الأمر، إن تقديم الدعم للاجئين غير موجود نوعا ما وقد لاحظ اللاجئون وطالبو اللجوء ذلك مرارا وتكرارا وهم يشتكون عدم استثمار هيئات اللجوء والتزامها بقضيتهم مثلما وعدت. ويوضح مهاجر تجليات هذا التقصير مردفا:" لا يتم اعتبارنا لاجئين، فهم لا يرافقوننا ويجعلوننا نتدبّر أمورنا بمفردنا. وإني مريض وحين أتصل بمن أخذوا على عهدتهم أمر مرافقتي لا يردون على الاتصال وهم يعرفون رقمي ولا يتصلون بي البتة. ولم أريد التواصل معهم؟ قد أكون معرضا للخطر أو في مأزق وربما يعين عليهم هم التدخل ولكنهم لا يتدخلون وحتى وإن واجهت مشكلة مع رجال الأمن تتصل بهم ولكن دون جدوى. بينما قالوا لنا أنه ستتم مرافقتنا وسنتمكن من الحصول على كذا وكذا ولكنها مجرد كلمات تنفخ في رماد وهذا هو واقعنا."

إن الرؤية الضبابية وعدم القدرة على الوفاء بالوعود وصعوبات الاتصال عوامل تشير إلى استراتيجية "دعه يعمل" التي تتبعها المنظمات التي من المفترض أن تهتم بوضعية اللاجئين وطالبي اللجوء . وإن عدم القدرة على التمتع بالخدمات أمر صعب بالنسبة إلى الأشخاص الذين يحق لهم الحصول على المساعدة والذين تجرعوا مرارة الوصول إلى ما هم عليه الآن.

د. مدارس ودور حضانة ودور حضانة للأطفال

إن وضعية المهاجرين الذين هم آباء لأطفال صغار خاصة للغاية . فيدير هؤلاء المهاجرون مهمتين تتمثل الأولي في التغلب على صعوبات الهجرة والثانية في الالتزام بدور الوالدين وإن التمتع بالحق في السكن لايكفي كي يعيش الأطفال ظروفا جيدة ولما يذهبون إلى العمل يضطرون إلى إيجاد مكان يعيش فيه الأطفال لبعض الساعات في اليوم وسيهتم بهم الكبار. يلجأ بعض المهاجرين إلى خدمات المهاجرين الآخرين الذين يقبلون رعاية أطفالهم بسعر أقل. تتحدث إمرأة مهاجرة عن المرأة التي ترعى ابنتها أثناء عملها:" عليها أن تعتني بها، لا أريد ان أضعها في حضانة لتوفير بعض المال وأكد المهاجرون أن أسعار دور الحضانة ودور الأطفال مرتفعة جدا وهم يحاولون تجنب النفقات الاضافية بالالتجاء إلى المساعدة المجتمعية الأقل تكلفة. إن إتاحة المدارس للأطفال أمرا غير مضمون أيضا ، وفق آباء الأطفال في عمر الدراسة والذين جرت مقابلتهم . ويقول أب من ساحل العاج لثلاثة أطفال:"نعم هم قادرون على الوصول إلى المؤسسات العمومية ولكنهم لا يريدون أن يرسلوا أطفالنا إلى المدرسة ويقولون أن عليهم التحدث باللغة العربية أولا وهذه المشكلة برمتها. فلا

علاقة للأطفال بما نقوم به وأما بالنسبة إلى المدارس الخاصة فلا يريد الآباء إرسال أطفالهم إليها وإن كانت تونس لا ترفض طلب من يريد الدراسة فيها." وبناءً على متقدّم به من ملاحظات ، يكون أطفال المهاجرين غير إجتماعيين بسبب عدم اتقانهم للغة العربية وارتفاع تكلفة المدارس الخاصة التي تقدم تعليما باللغة الفرنسية. لذلك يجب بذل مجهودات للتعليم والاندماج.

ه. تحويل الأموال

وبما أن هؤلاء المهاجرين قدموا إلى تونس لأهداف اقتصادية ، فهم يحتاجون إلى تحويل أموال إلى عائلاتهم في مواطنهم مثل المهاجرين القادمين من شمال إفريقيا الذين يعملون في أوروبا أو دول الخليج لتلبية حاجات عائلاتهم في مواطنهم. ومع ذلك ضرح أحد الذين جرت مقابلتهم أنهم غير قادرين على إرسال الأموال. وفي هذا الصدد ، يقول مهاجر يقيم في صفاقس:" لدي بطاقة البنك التجاري ولا يمكنني استخدامها. إن البطاقة الوحيدة التي يمكننا استخدامها هي بطاقة البنك المتحد لإفريقيا ولا يمكنك التحويل من بطاقة إلى أخرى. وأنا أسعى جاهدا للتحويل ولكن دون جدوى، حتى 2 دينار." ويقول آخر أنه لا يعلم أمر هذه التعقيدات في التحويلات المصرفية ويقول:" أعتقد أننا نعلم كيف ستسير الأمور ولقد بحثنا في الإنترنت ولكن يختلف الواقع عن الإنترنت." ومن الأعباء التي يتحملها المنفيون القادمون من <<جنوب الصحراء>> عدم معرفة مدى تعقيد الإجراءات واستحالة مساعدة الأسرة من خلال العمل.

و. الترفيه

كما أن الترفيه غير متاح بالنسبة إلى المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> وإن الثقافة ليست في متناول الجميع دائما بسبب الاعتبارات النخبوية وصعوبات الفهم من يسعنا الحديث عن دور السينما التي تعرض أفلاما باللغة العربية لا يستطيع المهاجرون فهمها. وتقتصر نزهات البعض على الزيارات المنزلية للمعارف أو الأصدقاء المهاجرين مثلهم. وهذه النزهات هي وسيلة للتواصل الاجتماعي المهم للغاية في الحياة اليومية للمهاجرين في تونس.

## II. منازل المهاجرين من الداخل

### 1. خصائص السكن

إن المساكن التي يعيش فيها المهاجرون القادمون من <<جنوب الصحراء>> في تونس تكون حسب الوضع الاجتماعي والاقتصادي والإداري للأشخاص. ومن مساكن في تونس تختلف من صالون وغرف نوم إلى صالون وأربع غرف وفي أغلب الأحيان يتشارك الأشخاص الذين جرت مقابلتهم الغرفة مع رفاقهم في السكن أو مع الشريك. ويسكن في مكان الإقامة بين 3 و7 أشخاص وتتراوح الإيجارات المدفوعة بين 50 و1300 دينار. تحصل شخص على السكن مجانا و يملك أربعة أشخاص عقود إيجار بينما لم يتمكن ستة أشخاص من الحصول على عقد عمل بسبب رفض صاحب المنزل أو

بسبب الوضعية غير النظامية للمهاجر. في صفاقس، يعيش المهاجرون في مساكن مركبة تتكون من صالون وغرفة إلى مساكن أكبر تتكون من صالون وثلاث غرف. وتتراوح الأسعار المجفوعة بين 150 و500 دينار. ويعيش سبعة من الذين جرت مقابلتهم والذين يعيشون في سكن مشترك يجمع من 3 إلى 7 أشخاص لا يملوك عقودا. أما بالنسبة إلى جرجيس فتتراوح المساكن من غرفة إلى صالون وثلاثة غرف يسكنها من 3 إلى 10 أشخاص. تستضيف المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين خمسة لاجئين ويدفع الآخرون بين 100 و750 دينار لتأمين السكن دون عقد عمل.

أ. الحالة العامة للسكن

يمكن أن تكون حالة السكن سيئة جدا ووصفت إحدى الشخصيات التي جرت مقابلتها أن هذه المساكن وسيلة لتجنب النوم في الشارع ويشاركه آخرون نفس الرأي : إنه سكن مؤقت وانتقالي لتجنب التشرد. إن الغرف صغيرة والمراحيض في حالة يُرثى لها والنوافذ مهشّمة والطلاء يتقاطر من الجدران. ومن الملاحظ أن المنازل قديمة والحمامات لا تعمل ويقضي المهاجرون وقتا لتصفية المياه الجارية. ويروي مهاجر يعيش في عاصمة تونس:" أما بالنسبة إلى البقع في المنزل ، ننظف المنزل معا كل يوم أحد وخاصة الأدواش يجب أن ننظفها ويتدفق الماء على الجانب الآخر وهو يتقاطر من الحنفية. ولكن عندما تخرج من المنزل تعود مجددا تجد المياه تغمر المرحاض ولكننا نجاري ما يحدث رغم كل شيء."

يصف رجل إيفواري يبلغ من العمر 17 عاما مكان سكناه على النحو التالي:" لم يكن لنا الخيار فور وصولنا بخصوص اختيار الحي. اضطررت للسكن في هذا المنزل لأنه كان الخيار الوحيد المتوفر لدينا وإن المنزل بعيد إذ يعين علي المشي مسافة كيلومترين للعثور على سيارة أجرة ، وثمة رطوبة في المنزل كما غالبا ما تكون الحمامات معطلة في بيت الاستحمام والمياه منقطعة والمطبخ متسخا . ولا توجد أرائك في الصالون ولا يوجد تلفاز وتوجد بقع سوداء على الجدران و كلما هطلت الأمطار يُتلف الطلاء. لا خيار لنا سوى البقاء هنالك لأننا لم نجد مساكن هنا وإن إيجاد مسكن ليس أمرا سهلا وإن الأمر معقد بعض الشيء." غادر هذا المهاجر موطنه كي يحقق حلمه ويصبح لاعب كرة قدم ولكن يجد نفسه مُرغما على العيش في مكان غير مؤهل للسكن وتبلغ تكلفته 300 دينار للغرفة الواحدة و700 دينار للمسكن ككل.

ب. سكن سيء التجهيز

علاوة على ذلك، لا تكون المساكن مجهّزة تجهيزا جيدا فيضطر المهاجرون إلى ابتياع أسرّة أو البقاء في هذه المنازل في انتظار اقتناء الأسرّة . وقالت لاجئة تعيش في جرجيس رفقة زوجها:" نحن نملك غرفة واحدة ونضع فيها المراتب ،إنها مجرد غرفة للنوم لا غير. ونحن نجاري الأوضاع كما هي."

وإذا كان المنزل المؤجر مؤثثا يتعيّن على المهاجرين مجاراة الأوضاع وتحمل الأثاث القديم السيء( الخزائن والأسرة والأرائك وما إلى ذلك). وقد يلتبس الأمر عندهم الأمر إذا ما تم وعدهم

بالسكن المفروش ووجدوا السكن شبه مؤثث ويقول آخرون أنهم يفضلون استئجار شقق فارغة ويردف أحدهم:" إن المنزل المستأجر فارغ ، إنه غير مجهز ولكتي لم أستأجر منزلا مفروشا أبدا لأنه باهض ولقد استأجرت منزلا غير مؤثث لأنه أرخص ولكي أشتري من السوق أشياءً صغيرة : تلفزيونا مستعملا ، قدرا للطبخ، موقدا غازيا مستعملا ولكن المشكلة التي نواجهها هي قارورة الغاز. نحن لا نملك قارورة غاز لأن الذين يبيعون قوارير الغاز يقولون أنهم لا يملكون قوارير غاز . وإن هذه الظروف بقطع النظر عن أنها مزعجة ، تسبب الاحراج وتحول دون استقبال الضيوف وتوسيع الدائرة الاجتماعية. وتم ذكر حقيقة وجوب استقبال الضيوف في المطبخ بحزن. كما، تم تسليط الضوء على عدم استقلالية المهاجرين الذين يتشاركون نفس الفناء أو الباب الأمامي لصاحب المنزل. ومن ناحية أخرى، من أهم عوامل عدم الاستقرار ، الاكتظاظ في مساحات صغيرة. وهو ما وصفه المهاجر قائلا:" لما وصلت لم يكن يوجد مكان متاح، كنت أخلع قميصي وأنام على الأرض."

ج . سعر الإيجار

أما بالنسبة إلى الأسعار، يعتبر أحدهم نفسه " يدفع تكلفة تفوق وضعية المنزل" وهو يتأسف على حالة المنزل.ولايقيه السكن من الفياضانات ، "يدخل الماء إلى غرفتي عند هطول الأمطار." وتقول مهاجرة أخرى تعيش في صفاقس أنها على يقين أن الثمن الذي تدفعه لا يدفعة التونسيون. وهي تتوقع أنها تدفع مايضاهي 62 ٪ أكثر مما يدفعون مفسّرة :" إنها تجارة ، إنه عمل." وتقول مهاجرة أخرى قولا مفاده أن ظروف السكن لا تساوي الثمن المدفوع. وتقول :" إن المبلغ المدفوع لا يضاهي حالة المنزل ونحن لا ننام جيدا ونعاني من الرطوبة."

د . عقود الإيجار

ولا تكون عقود الإيجار موقعة دائما وإن قال البعض أنهم وقعوا عقودا مع أصحاب المنازل ، يقول آخرون أن صاحب المنزل رفض أن يمنحهم عقدا أو أنهم لم يتملكنوا الحصول عليه لأنهم لا يملكون أوراقا بحوزتهم . ويضع آخرون أنفسهم في مكان صاحب المنزلين موضحين صعوبة تمكينهم من عقد إيجار:" لم نوقّع ولكننا منحناه نسخا من جوازات سفرنا هي غير كافية لتمكيننا من عقد إيجار ويصعب على المؤجر أن يوقع هذا العقد."

وإن وجوب المرور بالشرطة والبلدية لتوقيع العقد قد يردع الملاك عن تأجير منازلهم للمهاجرين وتجنب توقيع العقود لتفادي المتاعب الإدارية ومع ذلك، إن الحصول على عقد أمر ضروري للبقاء في البلاد بصفة قانونية وقد تجعل صعوبات الاستيلاء وضعية الهجرة غير النظامية في تونس أصعب وتساهم في تعزيز صناعة المهاجرين غير النظاميين في البلاد.

ه . تجربة التخييم

ويصف الأشخاص الذين اختبروا العيش في المخيم العلاقات الأكثر تصدعا. وتطرح مسألة الاكتظاظ وعدم الاستقرار في مخيم الشوشة أو في منازل الإيواء في جرجيس. ويتحدّث اللاجئون الذين يعيشون في جرجيس عن واقعة طرد زملائهم وعن الطبيعة المؤقتة لهذه المساكن بحيث

قد يضطر أربعة أشخاص إلى تقاسم غرفة واحدة. ويعبّر لاجئ سوداني عن الظروف الصعبة التي يعيشها في المبيت ويوضح أن ما يعيشه أمر لا يوصف فيردف:" يجب أن تأتي لاكتشاف الأمر، ولكنك إن قدمت إلى هنا سيمنعك رجال الشرطة من المغادرة. لا يمكن أن تدخل وإلا سترى فضائحهم وستنقلها. وإن قلت كلمة حق ستُضطهد."

و. محاولات تحسين ظروف السكن

يمكن أن تكون ظروف السكن غير مستقرة البتة ومع ذلك يحاول المهاجرون تحسين أوضاعهم ذاتيا. وفي هذا السياق يقول مهاجر يعيش في جرجيس:"إن ما يثير إهتمامي ليس السكن وإنما مستقبل أطفالي ولا يرتقي هذا المكان إلى أن أسميه سكنا. وإن تعين علي أن أبيت في القمامة سأفعل ذلك لو نظفت هذه القمامة فستكون نظيفة وستصبح حسب ذائقتي مكانا للسكن. ولكن هاجسي الوحيد هو مستقبل أطفالي."

وفي حقيقة الأمر ، يكافح المهاجرون لجعل المساكن صالحة للسكن حتى لو سُلبت حقوقهم . وهم يصنعون أشياء يدوية لتلبية حاجة السكن وامتلاك مجال ولضمان أفضل مسكن.

## 2. التجهيزات والفواتير

وفقا للبيانات المتوفرة، يعيش حوالي 61 ٪ من المهاجرين في مساكن سيئة. وقد تم الإبلاغ عن عدم توفر الغاز الطبيعي والتدفئة ومكيفات الهواء. وتعلقت الشهادات أيضا بعمليات التحيل في الفواتير[122].

أ. التجهيزات

تختص المساكن السيئة بضعف منشآت الكهرباء والماء. وتسرد واحدة من الذين جرت مقابلتهم صعوبة الاستحمام بسبب تردي الأوضاع. كما تمت ملاحظة انقطاع الكهرباء بطريقة عشوائية. كما أن المنشآت ليست متصلة دائما ولا تعمل شبكة الويفي في التثبيت ويجبر المهاجرون على الانتظار حتى يتم تثبيت الإنترنت التي ستأمن الاتصال والتواصل مع عائلاتهم التي تعيش بعيدا عنهم. وقال مهاجر إنه اعتمد على جيرانه لتزويده بالانترنت ولكن ما إن احتد النقاش بينه وبينهم حجبوا عنه الانترنت. وبالإضافة إلى ذلك، يتعذر في أغلب الأحيان التمتع بالغاز الطبيعي. وتروي مهاجرة الاستراتيجية التي تسلكها لتسخين الماء والتدفءة في فصل الشتاء:"أغلي الماء وأضعه في وعاء وأضعه بعد ذلك تحت لحافي وأستسلم للنوم." وقال مهاجر آخر واصفا عدم جودة سخان المياه:" يجب أن تشعل الوتد أو تستعمل ورقة وتشعله ومنا في كل مرة ننادي صاحب البيت كي يصلح هذا الأمر فيُجيب بنعم ولا يستجيب في نهاية المطاف." وليس هذا المالك مختلف عن غيره من أصحاب المنازل الذين لا يطترثون لحالة المهاجرين: يقول المهاجرون إن الملاك غبا ما يتواجدوا لاصلاح أمر ما في المنزل أو استجابة لطلبات المهاجرين.

[122] المنظمة الدولية للهجرة. دعم الركيزة الإنمائية لبرنامج التنمية الإقليمية والحماية لشمال إفريقيا (RDPP NA). تقييم احتياجات مجتمعات المهاجرين والمجتمعات المضيفة في تونس توليف 2017 (تحديث 2018) ،

ب. الفواتير

أما بالنسبة إلى الفواتير، فغالبا ما تخالج الشكوك عقول المهاجرين لأن الفواتير باهضة جدا مقارنة باستعمالهم ويردف مهاجر:"إن أمر تكاليف المنزل غريب بعض الشيء ، تبدو الحياة هنا غريبة بعض الشيء ولكن لا خيار أمامنا سواها." وإن تقطع السبل بالمهاجرين يدفعهم إلى الموافقة على الدفع حتى وإن شعروا بالتحيل. ويقول مهاجر آخر متعجبا:" سواءً وقعت عقد إيجار أو لم توقع فإن أسعار الفواتير تتزايد بصفة خيالية وأنا أجهل كيف يتم ذلك وتوجد فواتير عشوائية من الصوناد والستاغ رغم أني كنت متواجدا في المنزل لمدة أشهر." ويُعبّر مهاجر آخر عن تفهمه لما تعيشه تونس من ضائقة اقتصادية تفسّر هذا السلوك مشددا على عجزه عن تسديد ثمن الفواتير:" لقد سلمني صاحب البيت الفاتورة وهي باهضة جدا تكلفتها 1300 دينار وكيف لي أن أسدد هذا الثمن؟ رغم أني متفهم ومدرك حقيقة الضائقة الاقتصادية التي تعيشها البلاد. ويمكن أن تصل الإساءة إلى أبعد من ذلك. إذ، يخبرنا مهاجر واقعة حصلت معه فلما رفض تسديد ما أسماه احتيالا هُدّد برجال الأمن وطُرِد من المنزل الذي كان يعيش فيه:" وهنا اعترضتني نفس المشكلة، بعد شهر من السكن سلمني المالك فاتورة بقيمة 400 دينار فسددنا ثمنها وبعد مضي شهر آخر طلب منا تسديد ثمن فاتورة بقيمة 1000 دينار فرفضنا الدفع وقررت الذهاب إلى مركز الشرطة للتقدم بشكوى ضد صاحب البيت وانتهى الأمر بشكل سيء بيننا وطلب منا مغادرة المنزل فغادرناه."

تتكرر هذه الحوادث من هذا القبيل وتتعلق بممارسات شائعة بين بعض المالكين للاستفادة من وضع الأجانب المهاجرين المجبرين على دفع التكاليف التي لا تخصهم في أغلب الأحيان خاصة بالنظر إلى عيوب تجهيزات المساكن.

03

# أزمة سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> من منظور العلاقات

العلاقات مع المالكين
العلاقات مع الشركاء في السكن
العلاقات مع الجيران
مكانة الشبكات المجتمعية

## الجزء 3: أزمة سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> من منظور العلاقات

في ديناميكيات الداخل والخارج ، لا يقتصر الحق في السكن على العناصر المادية. إذ تكون العلاقات التي تنشأ بين الأفراد مهمة جدا وهي جوهر مسألة المسكن. وتحدد هذه العلاقات ظروف السكن ولها آثار مهمة على تجربة الأفراد سلبية كانت أو إيجابية أو مختلطة. ويتوه المهاجرون القادمون من جنوب الصحراء في سلسلة طويلة من الشبكات البشرية. فيفترض الانتقال من بلد إلى آخر التفاوض في العلاقات بعيدة أحيانا والقريبة أحيانا أخرى. ويقتضي الاستقرار في بلد معين تكوين علاقات جديدة في المجتمع المُضيف والتفاوض على روابط إنسانية عديدة.

يعني العيش في مجال معين التفاوض على جميع العلاقات التي تُحاك تلقائيا في علاقة بذلك المجال.وبما أن المهاجرين يأجرون منازلا وشققا في تونس، فإن العلاقة التي تربطهم بالمالك تحدد ظروف سكنهم مع مراعاة علاقات القوة التي قد تبديها العلاقة ، علاوة على ديناميكيات التأجير المختلفة في طيف العنف والعون.

وبالإضافة إلى ذلك، غبا ما يسكن المهاجرون بمفردهم. فهم يسكنون في أماكن إقامة مشتركة أو مع شركاء أو أصدقاء يستضيفونهم. ويجدر النظر إلى هذا التعايش من زاوية العلاقات التي يتم الحفاظ عليها والأدوار التي الأفراد الذين يتقاسمون المبيت على اختلافهم. ومن العوامل المحددة لهذه الأدوار نذكر: الجنس والعمر والحالة الاجتماعية والاقتصادية. ووفقها يتم فصل أو تقسيم المهام. وبالمثل، تتولى العلاقات التي يتم التأكيد عليها في المنزل زمام التموقع وتتحكم في الأدوار الأخرى في الداخل أو في الخارج.

يعني السكن في منطقة حضرية أو شبه حضرية حتمية وجود جيران سواءً كانوا تونسيين أو قادمين من <<جنوب الصحراء>> وتقوم هذه العلاقات على القرب وعلى شكل من أشكال التعايش في مجال في الحي. ويمكن أن تكون العلاقات بين الجيران إشكالية أو سلمية مثل العلاقة بين المالك والمستأجر فهي تختص إما بالعداء أو بالقبول والاحترام وتؤثر ديناميكياتهم على تصور السكن والحي. ويصبح السكن بعد ذلك صالحا للسكن أو غير صالح حسب الأشخاص الذين يسكنونه. و عند النظر في مسألة الحق في السكن، تكون شبكات المجتمع عنصرا مهما ويمكن تنظيم العلاقات التي تنشأ بين المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> في إطار ناشط أو عفوي. وهي توفر مجالا للتضامن يعمل على تسهيل الاندماج والحصول على السكن وتوفير الوسائل لتأمين ظروف معيشية جيدة للمهاجرين المستضعفين. وكشف البحث عن أهمية هذه العلاقة بالنسبة إلى المهاجرين الذين جرت مقابلتهم. وكانت الحوارات وتجارب المستجوبين مصدرا مهما لفهم السكن الرديء للمهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> من منظور العلاقات.

## I. العلاقات مع المالكين

يعني الاختلاف الوضع بين المالكين والمستأجرين أحيانا إنشاء علاقات قوة وهيمنة [123] ويزداد ذلك إذا كان المستأجرون في وضع غير مستقر مثل وضع المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>>.

### 1. الاهمال

وتنم ممارسات الاخضاع العلنية عن هذه الهيمنة وكذلك الممارسات الضمنية التي تُبقي الأفراد في وضع غير مستقر وفي ظروف غير صحية. وعادة ما تكون المساكن المستأجرة في وضعية سيئة ومتداعية وغير صحية عكس التي يسكنها أصحاب المنزل. وتزيد هذه الوضعية من خطر الإصابة بأمراض جسدية ونفسية وينجر عن الرطوبة والعفن أمراضا تنفسية وتسبب الأوساخ الأمراض المعدية ويحد عدم استقرار الطاقة أمراض القلب والأوعية الدموية وإن هذا الجو العام لمسبب لظهور علامات الإكتئاب والقلق على المهاجرين[124].

### 2. سوء المعاملة

علاوة على ذلك، ينطوي هذا العنصر على الهيمنة التي تتضمن الاهمال وقد وصف المستجوبون علاقاتهم مع المالكين وقالو إنها متوترة وأفصحوا عن تعرضهم لشكل من أشكال الإساءة من توبيخ وعنف لفظي وجسدي إلى الطرد من مكان الإقامة. إذ قالت مهاجرة:" إن المالك الحالي طيب وغير مزعج ولكن عندما يزورني الرجال إلى المنزل يأتي كي يوبخني ويستنكر صنيعي." ويعتبر هذا المالك "طيبا" ولكن عيبه الوحيد هو أنه يحشر نفسه في أمور المستأجرة وينتقي زوارها ويصدر أحكاما وكأنه يمارس سلطة أبوية على المستأجرة وأنه مسؤول على الحكم على زوارها وتوبيخها .

ومنه لا يتم احترام حدود العلاقة بين المالك والمستأجر مما يجعل خصوصية المستأجر في موضع شك. ونعت أحد المهاجرين العنف الذي سلطه عليه صاحب المنزل السابق مردفا:" لقد كان لئيما ويدخل إلى المنزل ويهيننا كما يُرغمنا على دفع ثمن كل فواتير المنزل." فنخلص إلى أن خصوصية المستأجرين منتهكة ويخترق المالك المجال الخاص بهم كي يعنفهم لفظيا ويبيح المالكون لأنفسهم القيام بذلك لأنهم يحسبون أن كل المكان ملكا لهم وتحت أمرهم وسيطرتهم فيمارسون العنف ويتطفلون على المستأجرين. ويصرح مهاجر آخر:"كان المالك القديم يعاملنا معاملة سيئة وهو متواجد دائما في المنزل لأنه يحسبنا متسخين وغير قادرين على الإعتناء بالمنزل."

---

[123] جيم كيميني (2006) النقابية وأنظمة الإسكان والإسكان والنظرية والمجتمع ، 23: 1 ، 1-18 ، دوا: 10.1080/14036090500375423

[124] مؤسسة أبي بيير، عندما يصبح السكن الداء ، دفاتر الإسكان، أفريل 2015، https://www.fondationabbepierre.fr/documents/pdf/quand_cest_le_logement_qui_rend_malade_-_cahier_du_logement.pdf

وينم تواجد المالكين الدائم في المنازل المستأجرة عن تصورهم للمستأجرين وهم بالتالي ينتهكون خصوصيتهم ويتطفلون بطريق غير متوقعة في المبيتات ولا يثقون فيهم معتقدين أنهم عاجزين على الإعتناء بالمنزل. وينظر إلى المستأجرين على أنهم متسخين ومنحرفين ويراقبهم المالك لردع المخاطر. ولكن هذه التصورات هي تصورات عنصرية وإن اعتبار النساء كائنات جنسية يدل على الفاتشية ونتاج نفاه الماضي الاستعماري والاستعبادي. كما أن رسوخ الاعتقاد بأن القادمين من <<جنوب الصحراء>> متسخين يقوم عماده على مجموعة من السلوكيات العنصرية التي ترتكز على رائحة سكان <<جنوب الصحراء>> وعدم تحضرهم[125].

### 3. الاستغلال

جرى التركيز على استغلال أصحاب المنازل للمستأجرين والتنويه عليه عدة مرات من خلال التلاعب بالفواتير. ووصفت مهاجرة شابة تسكن في مدينة تونس المشاكل التي حدثت بينها وبين صاحب المنزل على هذا النحو:"لقد جابهت مشاكل عديدة مع صاحب المنزل، إذ يحسب أن استغلالنا ليس بالأمر العسير لأننا أجانب ، فيسلمنا أحيانا فاتورة قديمة ويقول "هذه هي الفاتورة" ولكنها ليست الفاتورة الصائبة ويطلب منا تسديد ثمنها معتقدا أننا لا يمكن أن نقرأ ما كُتب عليها."

وإن استغلال الأجانب -شبه العاجزين- ممارسة أصحاب المنازل لاستغلال وضعية المهاجرين الذين يستأجرون المنزل وللتحيل أكثر فأكثر وتحقيق أرباح من عمليات التحيل. وإن عدم فهم الأجانب للغة العربية أدى إلى إزدياد عمليات التحيل كأن يوافقوا مثلا على توقيع اتفاق أو تسديد ثمن فواتير مُعولين على حسن نية صاحب المنزل وسلامة قلبه. ويرى البعض أن العجز مرتبط بضعف هذه العلاقة. واستشاطت مهاجرة غضبا بعد بسط سؤال يخص هذه العلاقة وصرخت قائلة:" يقولون أنه ثمة مشاكل بيننا وبين المالك وكيف لنا أن نواجه مشاكل مع المالك إذا من غير قادرين على امتلاك مسكن خاص بنا؟ نحن لا نملك نقودا للدفع." وبحكم الأمر الواقع، لا يمكن مقاومة علاقات القوة باستقباحها أو بالتعبير اللفظي عن تجارب التعسّف دون ضمان أو استقرار معين. كلما كانت وضعية الأشخاص غير مستقرة ، كلما رضخوا للمعاملات السيئة. واستطردت المهاجرة وهي ألفت الاستغلال كلامها واصفة السكن غير الصحي والعلاقات العدائية مع المحيط. رغم أنها لا تفكر سوى في الذهاب إلى أوروبا فهي تعيش في تونس في وضعية صعبة وتدفع إيجارا باهضا مقارنة بالحي الذي تسكن فيه.

### 4. الاستثناء في الحالات الاستثنائية

ومع ذلك، يمكن أن تكون العلاقات سلمية وتقوم على الممارسات الخيرية. وكان يمكن أن يبدي المالكون تعاطفهم مع المستأجرين أثناء فترة العزل الأولى في جائحة كورونا ويحسنون لهم. ويروي مهاجر واقعة عاشها مع صاحب المنزل وقد غمرته الأحاسيس :" أثناء فترة الكوفيد كنت في

[125] محمد علي حسن. "2. ألغاز الآخرون السود: لون البشرة" ، أجساد السود والأطباء البيض. مصنع التحيز العنصري ، القرنين التاسع عشر والعشرين ، تحت إشراف بيريتي كورتيس دلفين. الاكتشاف ، 2021 ، ص. 19-41.

ضائقة مالية وتعسّر علي دفع تكلفة السكن فقبل المالك أن أدفع بعد ثلاثة أشهر." ويقول آخر:" لما كنا نعمل قبل جائحة كورونا، كنا ندخر الأموال. وفي الشهر الثالث قال لنا المالك :" لا إنها الإجازة." وأما النسبة إلى الكراج فأخذ المالك نصف ثمن الكراء قبل الكوفيد والنصف الآخر بعد الكوفيد."

ولقيت هذه السلوكيات تشجيع الإجراءات الحكومية جمعيات المجتمع المدني وتعد الرغبة في مساعدة الشخص الأضعف حالا شكلا من أشكال الإيثار الذي يتجاوز ديناميكيات الخضوع للهيمنة. ويمكن ملاحظة سلطة المالك على المستأجرين المهاجرين، بحيث " يتولى سلطة القرار فيُبقي من يريد ويطرد من يريد"[126]. ومنه، نرصد اختلال موازين القوى، عبر تقنيات المراقبة والاستبعاد وأن المستأجرين غير مستقلين عن مكان سكناهم. إذ يؤثر أصحاب المنزل عليهم على مسار حياة المهاجرين عند مراقبتهم[127]. وقد تدل الممارسات العنصرية وكراهية الأجانب والاحتيال والابتزاز والطرد على الخلل الذي يشوب علاقة المالك والمستأجر.

## I. العلاقات مع الشركاء في السكن

يمكن تحديد ديناميكيات العلاقات داخل المسكن انطلا قا من الروابط القائمة مسبقا بين الشركاء في السكن. يدفع الشركاء في السكن إلى إدارة علاقة تحدد ظروف سكنهم سواء كانوا أصدقاء أو مواطنين من نفس البلد أو شركاء في السكن لا غير أزواجا أو تربطهم علاقة عاطفية.

### 1. الألفة والتقارب والمساعدة

وتختلف طبيعة هذه العلاقة. إذ تدفع بعض الصعوبات المهاجرين للسكن على مقربة من أشخاص يعرفونهم ويطمئنوا شاعرين بألفة المهاجرين فيما بينهم. ويقول بعض المهاجرين أنهم اختاروا رفقاء السكن على هذا الأساس. وتعني معرفة الشخص إمكانية الاعتماد عليه وبالتالي من المرجح أن يصبح الرفقاء في السكن بمثابة عائلة بعيدة عن العائلة الأصلية. ويؤكد مهاجر يعيش في ولاية صفاقس ذلك:" إن علاقتي مع شركائي في السكن جيدة وكأننا أسرة ، لا خلاف ينشب بيننا ونتقاسم نفس المطبخ وأنا أتقاسم الطعام مع صديقي ويتقاسم الآخرون الطعام مع زوجاتهم."

وتعكس هذه العلاقة في هذه الحالة علاقة جيدة توفر مجالا من الحرية. وإن احترام الحياة المشتركة وحدودها يصاحبه احساس بالإنتساب الرمزي. يعني العيش معا بناء رابطة نسب قوية يمكن أن تمتد إلى جميع السكان. ويقول مهاجر:" أنا أسكن مع أبناء عمي الذين اختاروا استكمال مسارهم الدراسي في تونس. وهم استقبلوني لما وجدت صعوبة في تسديد ثمن السكن أو إيجاد سكن ويساعدونني ماليا وقت الحاجة." وتصرح مهاجرة أخرى:" منذ أن قدمت إلى تونس أعيش مع

[126] غرينسكي ، سارة إي. ، ألما أنجيليكا هيرنانديز. "الملاك ، الخوف ، وصحة الجهاز التنفسي للأطفال: قصة غير مروية عن الظلم البيئي في وسط المدينة". البيئة المحلية 15.3 (2010): 199-216.

[127] تشيشولم وإلينور وفيليبا هودين تشابمان وجيف فوجير. "ردود المستأجرين على الإسكان دون المستوى: القوة الخفية وغير المرئية وفشل تنظيم الإسكان الإيجاري." الإسكان والنظرية والمجتمع 37.2 (2020): 139-161.

صديقتي وليس لدي علاقات أخرى هنا." وبالفعل ، تكون عملية الحصول على مسكن صعبة إذا لم يكن للمهاجر علاقات في البداية. فيلتجأ المهاجرون إلى معارفهم الذين يقبلون استضافتهم في وقت الضيق والعجز على تسديد الأموال أو في بداية الاستقرار في البلاد إذا لم يكن لهم خيار غير ذلك.

### 2. علاقة التعايش: ضمان ووسيلة للتبعية

في بعض الأحيان، تكون العلاقة مع شريك المهاجر في السكن ضمانا وتسمح بالحصول على سكن والاحتفاظ به. ومع ذلك، قد يعني هذا التعميم التبعية للشخص الذي يوفر السكن ويشكل الأشخاص الذين يتم إيواؤهم مجموعة "معرضة للخطر" لأن مواردهم متواضعة ويعيشون في وضع غالبا ما يكون غير مستقر[128]. وإن عدم دفع مبلغ مقابل الحصول على مسكن حلا مؤقتا ولكن قد ينجر عنه أشكال ضعف إضافية. وقد يكون الوضع حرجا بالنسبة إلى الأشخاص الذين يحملون على عاتقهم حملا ثقيلا كالعابرين جنسيا. إذ تحدثنا إحدى المشاركات وإمرأة عابرة جنسيا عن المسكن الذي قدمته لها صديقتها وغير مستقر. ورغم أن السكن مجاني إلا أنه غير مضمون بما أن العلاقات الانسانية متقلبة وقد ينجر عن سوء تفاهم طرد المتمتع بالسكن المجاني. وتقول مهاجرة أخرى غير نظامية تعيش في صفاقس أنها تقدم خدمات منزلية وتعتني بنظافة المسكن بمفردها لأنها تدفع مبلغا أقل من المستأجرين الآخرين وهي تود أن تحصل على مسكنها الخاص وهي تعمل كي تستأجر منزلا آخر، في مكان تكون فيه "مستقلة أكثر".

### 3. الأدوار في المنزل

يُطلب من المهاجرين للحفاظ على السكن أداء المهام المنزلية كتنظيف المنزل وترتيبه. ويتم تقسيم المهام المنزلية بتفاوت حسب الوضع الاجتماعي للأفراد. ويؤدي إهمال بعض المهام أو الاهتمام المفرط بالقلق والصراع بين المستأجرين. وغالبا ما يعتمد اختيار تقاسم المهام أو عدم تقاسمها على الخبرات السابقة وعلى نوع معين من التنشئة الاجتماعية. وتم وصف العديد من الممارسات ضمن المستجوبين. ومن ناحية ينزع البعض إلى تقاسم المهام سواء التنظيف أو الطهي. ويقسّم شركاء السكن المهام فيم بينهم ، بحيث يقوم كل شخص في الأسبوع بتنظيف المنزل بأكمله وبالطهي للجميع. ومن ناحية أخرى ، يتبع آخرون سياسة " كل شخص يتدبّر أمره بمفرده" فيم يخص الشؤون المنزلية. وهم يعتقدون أنها " أفضل طريقة" لاختلاف الشخصيات والصراعات الماضية. ويتوصل آخرون إلى اتفاق خلال الفترات الاستثنائية أي أنهم لا يشاركون المهام اليومية لكنهم يفعلون ذلك في الأعياد الدينية (رمضان، عيد الميلاد، عيد الفصح، تاباسكي) والمناسبات المجتمعية (الأيام "الثقافية" التي ينظمها الماليون أوالإيفواريين أو الغينيون للاحتفال بالأعياد الوطنية مثلا) والأوقات الصعبة التي قد يعيشها الشركاء في السكن (المرض والحداد..). إن "التجمع كعائلة" في هذه المناسبات فرصة للإحساس بالود وتقاسم المهام المنزلية التنظيمية.

[128] ماري لانزارو ، "الحصول على سكن للأشخاص المسكنين: من الحق في مسارات آمنة" ، متعلق بالأرصاد الجوية، 30 سبتمبر 2016.
الرابط : http://www.metropolitiques.eu/L-acces-aulogement-des-personnes.html.

وفيما يتعلق بالصراعات التي يمكن أن تنشأ حسب هذه المهام يقول مهاجر غاضب من سلوك شريكه في السكن:" لا يتمتع الجميع بنفس المستوى التعليمي وهو أمر طبيعي. لكن لا تخلو الحياة من القصص والمشاجرات الصغيرة.. وأنا شخص نظيف لا أترك المطبخ متسخا في حين يحدث الآخرون جلبة في المطبخ ولا ينظفونه وهو أمر مزعج بالنسبة للجميع." ومنه فإن النظافة والتنظيم يتسببان في خلافات بين الشركاء في السكن إذ لم يتفق الجميع على تقسيم الأدوار أو اتباع نظام منزلي يلائم الجميع. كما تصف التجارب الأخرى أشكال الانسجام بين الشركاء في السكن.

### 4. التضامن مقابل العداء

قد تختلف العلاقات بين الشركاء في السكن فتختص بالتضامن أو العداء. ويلاحظ التضامن وقت الضيق لما يجمع الشركاء في السكن الأموال ويعتنون بالشخص ويساعدونه على الاندماج وإن هذه الممارسات التضامنية متكررة بما أن المهاجرين يجدون أنفسهم بعيدين عن عائلاتهم وعن شبكات علاقاتهم المعتادة ويتعين عليهم مجابهة وُعورة الحياة استنادا على شبكة العلاقات التي نشأت في تونس. في مقابل ، يظهر العداء في التجارب التي سُردت، بحيث يصف المهاجرون وقائعا عن الصراع مع الشركاء في السكن وكيف طلبوا منهم مغادرة المسكن وكانت الشكوك تحوم حول سرقة أغراض شخصية ونقود داخل المسكن.

## II. العلاقات مع الجيران

لا يتقاسم المهاجرون القادمون من <<جنوب الصحراء>> المنطقة الداخلية التي يعيشون فيها فحسب بل، يمتد السكن إلى الخارج حيث يتولى الحي مهمة كبيرة في تحديد ظروف السكن. ويحتلّ الجيران سواءً كانوا تونسيين أو من <<جنوب إفريقيا>> مكانا محددا.

### 1. الجيران المهاجرين مقابل الجيران التونسيين

تكون الأوضاع في بعض الأحياء غير مستقرة ويعاني السكان القادمون من <<جنوب الصحراء>> من العنصرية، مما يجعلنا نشهد على "عزل" بعض الأماكن واستثمارها من قبل المهاجرين. وهكذا تصبح بعض الأحياء خاصة بالمهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> فقط . وبالتالي نلاحظ عدم وجود جيران تونسيين مما ينذر بالانقسام الاجتماعي الذي تغذيه العنصرية النظامية والفقر المدقع الذي يعاني منه المهاجرون. وتقول مهاجرة إيفوارية غير نظامية تعيش في صفاقس منذ سنة وأربعة أشهر واصفة الجوار:"لا مجال للخلافات بيننا. لا يوجد جيران تونسيون هناك . أريد المغادرة ، لا أريد الانتقال من اليسار إلى اليمين. مشكلتي هو أني أريد المغادرة." وتقول مهاجرة أخرى جرت مقابلتها وهي تسكن في نفس الحي:"لا توجد مشاكل في الحي، بوجد العديد من السود وأمورنا شورى بيننا فنحن ندبر أمورنا مع بعضنا."

يعتبر هؤلاء المهاجرون خلو المكان من المشاكل يكون في ظل غياب التونسيين وتشعر المهاجرتين بالاطمئنان لأنهما تعتبران أنهما في وضعية تقيهم شر الممارسات العنصرية التونسية. وتستطرد كلامها ساردة ما حصل معها لما همّت بزيارة صديقتها التي تعيش في حي آخر يسكن فيه التونسيون :" بصق علي رجل في الشارع . وفي طريقي إلى منزل صديقتي تعرضت للتحرش من لمس للثدي وللمؤخرة، أجل يبيح التونسيون رجالا كانوا أو أولادا لأنفسهم أن يلمسوا ثدييا ومؤخرتنا ويقولون أننا سود قذرون، نحن نعامل معاملة سيئة ويرمقوننا بنظرة دونية وباحتقار، السود القذرون."

وبالتالي أقدموا على السكن في حي تكون غالبية السكان فيه مهاجرين. ومع ذلك، لا يمكن أن نعمم لأن العديد من المهاجرين يعيشون في أحياء سكانية فيها أغلبية من التونسيين. وهم يصفون علاقات متعارضة تختلف حسب طبيعة الحي والعلاقات التي تسوده. ولا تختص الممارسات العنيفة بالتونسيين فقط. إذ يقص لنا مهاجر تعرضه للسرقة وفقدان لراتبه الشهري وقال بمرارة:" لقد سرق سنيغالي نقودي لأنه على بينة من حصولي على راتبي المتمثل في 500 دينار."

### 2. العلاقات السيئة والممارسات العنصرية

تتمظهر العلاقات مع الجيران أحيانا بطريقة سلبية. ويزيد وضع اللاجئ من تعقيد هذه العلاقة. وفي هذا الصدد قال مهاجر:" علاقتنا ليست جيدة مع الجيران لأننا نعتبر أجانب ، لسنا في موطننا. حتى لو كنت نيجيريا أو إيفواريا أو كونغوليا وأنا كاميروني ، كلنا أجانب لأننا لسنا في موطننا. علينا أن نستسلم كما ترى. وإن قلنا أن لدينا علاقات لن تسير الأمور على ما يرام ،علينا فقط أن نستسلم لأننا أجانب."

ويُعدّ الاستسلام وسيلة لتجنب النزاعات وللتماهي وردع المشاكل التي يمكن أن تحدث نتيجة التواصل الاجتماعي في سياق العداء. بالإضافة إلى ذلك، يُذكر رفض التونسيين إقامة علاقات مع المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> لتفسير عدم وجود علاقة معهم. تم وصف فرضيات العنصرية المُفترض للتونسيين. صرح أحد الذين جرت مقابلتهم والذي يعيش في جرجيس :" إن علاقات الصداقة مع التونسيين نادرة جدا لأن العديد يرفضون إقامة علاقات صداقة مع السود باستثناء أولئك الذين يعيشون في أوروبا. إن الذين يعيشون في أوروبا يعرفون الحقائق لأنهم يرون كيف تتم معاملة السود في فرنسا وأو ربما في ألمانيا ولكن التونسيين هنا يرفضون ذلك."

ويمكن أن يتحول هذا الرفض إلى ممارسات عنصرية تُسلّط على المهاجرين. ويسرد البعض وقائع من هذا النوع. ويقول مهاجر:" إن الأمن منعدم. إن الناس في الحي يرمونك بالحجارة في الشارع ويطرقون بابك." وتردف مهاجرة أخرى قائلة:" في رمضان في مكان "أ" هاجم تونسيون جاري القادم من <<جنوب إفريقيا>> وسرقوا هاتفه الجوال."

وتشهد اعمال العنف هذه على العداء الذي يُبتلى به الحي والصعوبات التي يجابهها المهاجرون في أحيائهم وخطر الاعتداء الذي يتربص بهم.

## 3. شكاوى الجيران

وقد لا يُمارس العنف مباشرة ويمكن أن يتجلى ضمنيا حين يشتكي أصحاب المنازل من المهاجرين ويحاولون طردهم. وتتغذى هذه المحاولات على رفض تواجد المهاجرين ويظهر ذلك عبر مراقبة الآخر وتوقع ارتكابه لخطأ يُعاقب عليه. تصف مهاجرة ولت هاربة من جماعة بوكو حرام في الكامرون علاقتها بجارتها وهي إمرأة مسنّة وتنتقد تواجدها هو وزوجها في العمارة في الطابق الذي أسفلها. تقول المهاجرة الكامرونية:" لا ، لا يتعلق الأمر بالمالك أو عائلته، ولكن كما قال زوجي منذ البداية:" ستجد دائما شخصا يرفض وجودك." ، إذ أذكر على سبيل المثال جارتنا وهي أم وهي تسكن في العمارة الأخرى في الطابق الثاني، وإنها كثير الشكوى بسبب أو بدون سبب ومن صغائر الأشياء إلى أهمها دون التطرق إلى موضوع بعينه. وبما أننا نسكن في منزل غير مجهز ، تدعي أننا سرقنا الأثاث وحين نكنس الأرض تشتكي من الغبار في حين أن منزلها بعيد عن منزلنا ، أظن أن لون بشرتنا هو المزعج في الأمر، أنا أجهل السبب في الحقيقة. كما لا يحق لنا استقبال زوار في منزلنا لأن صاحب البيت يرفض ذلك. وباختصار.. لم نتواصل مع قط ولم نشتكي أبدا فهي إمرأة مسنة ونحن نتفهم وضع المسنين.."

ولم تعر اللاجئة أهمية للقلق الذي أحدثته الجارة ومنه يبدو احترام المسنين وسيلة لعدم التأثر بالشكاوى التي تهدف إلى التخلص من اللاجئين. ويفسّر البعض الآخر أن هذه الشكاوى نابعة من خوف على الثقافة التونسية وهو شكل من أشكال الرفض لثقافة المهاجرين وسعي لتعويضهم بتونسيين. ويصرح مواطن في هذا الصدد:" إن مراس الجيران صعب للغاية لأنهم يملون علينا طريق عيش تشبه طريقة عيشهم ولاسيما عند التشارك في المسكن مما يحدث جدلا كبيرا ويخرجنا المالك من المنزل كي يستأجره تونسيون."

وعلى هذا النحو يعارض الجيران نمط حياة المهاجرين كما أنهم لا يقبلون تواجدهم بسهولة. وهم ينتقدون تعبيراتهم الثقافية وخصوصيات حياتهم اليومية ويرفضونها بشدة. ويقول مهاجر بنبرة الائم:" نحن لطفاء ، نحن الأفارقة نغتسل بشكل صحيح، نغسل أجسادنا في الصباح وفي الظهيرة وفي المساء نحن نغتسل." وإن التأكيد على النظافة يرتبط بالأحكام العنصرية التي تفيد أن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> متسخين. يستخدم أصحاب المنزل الانطباع السائد بأن السود متسخين كوسيلة للتشكي منهم وهم يُتهمون بعدم القدرة على الاعتناء بمساكنهم وبتوسيخها وبتدمير الفضاء المشترك مع الجيران. تتعلق الشكاوى بالضجيج والأصوات المرتفعة في المكان. ويدل ذلك على الطرق المختلفة التي يعبر بها المهاجرون عن أنفسهم. ويتم اتباع استراتيجيات للتعامل مع الشكاوى التي قد تكون ممنهجة. ومن هذه الاستراتيجيات نذكر: التقوقع والمبالغة في اللطف. وفي هذا الصدد تروي لاجئة تجربتها:" إنهم يشتكون منا كثير أي نحن الأفارقة ولكن لا يحدث كل الأفارقة المشاكل، ثمة فئة قليلة مزعجة فقط... وإذا كنت تبحث عن مسكن مثلا يقولون:" لا نريد أفارقة." أسكن رفقة زوجي في هذا المكان منذ ثلاثة سنوات ولم يتذمر جار من وجودنا ، بل بالعكس، يحبذنا الجيران بفضل سلوكنا ، إذ نقول :" صباح الخير ، صباح الخير" وإني حل بي خطب ما لا أزعج الجيران أبدا وأنا لا أتدخل في حياة الناس لذلك نعيش جميعا في كنف الاحترام .فقط."

### 4. الحياد والترحاب في العلاقات

في نفس الوقت قد تتسم العلاقات مع الجيران بالحياد أو بنوع من الترحاب. وتم التأكيد من ناحية على غياب التفاعل مع الجيران خاصة إذا كان المهاجرون يسكنون في مبان منفصلة أو في عمارات غير مكتظة. وغالبا ما يخالط الطلاب المهاجرون جيرانهم. ويروي آخرون الحفاوة المتبادلة بينهم وبين الجيران، إذ يزورهم الجيران في المناسبات . وحدّثتنا مهاجرة عن جارتها التي كانت تساعدها على رعاية ابنتها :" لقد اخترت هذا المكان للعيش لأن الجيران الذين يقطنون هنا وبالقرب من هذه المنطقة لطفاء جميعهم لطفاء، وهم ينادونني كي أعمل إذا لم أجد عملا. إذا أنا لا أواجه مشاكل بشأن الجيران. ومنذ أن سكنت في هذا المنزل لم أتشاجر مع الجيران أبدا وسأظل في هذا المنزل ولن أبرح مكاني ما دمت في تونس."

وتعد هذه العلاقات عاملا يسمح لهؤلاء "المُفضّلين" وفق تعبير إحدى المهاجرات التي تربطها علاقة قوة مع الجيران. وقد قرر هؤلاء المهاجرون الاحتفاظ بمسكنهم بفضل هؤلاء الجيران. وفي المناسبات الدينية، ينتشر شكل من المشاركة بين الجيران كمشاركة الطعام وهي عادة تنتشر خلال هذه المناسبات وخاصة في الأحياء الشعبية. كما تتكرر الدعوات للإفطار في شهر رمضان سواءً كانوا تونسيين أو مهاجرات آخرين.

## III. مكانة الشبكات المجتمعية

### 1. أماكن وفضاءات التلاقي

تمثل جماعة المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> في تونس فضاء ينشأ ويوفر للمنتسبين إليه إمكانات لاستشراف المستقبل. وتتكون هذه الجماعة حسب الأماكن التي تنشأ فيها روابط انتساب. ومن بين هذه الأماكن ذكر المهاجرون الذين تمت مقابلتهم الكنيسة بالنسبة إلى المسيحيين . فلا تعتبر الكنيسة مكان عبادة فقط بل هي فضاء يمنح الطمأنينة ويجعل الفرصة سانحة لمقابلة أشخاص من نفس الدين والثقافة. إذ يقول العديد من الطلاب القادمون من <<جنوب الصحراء>> أنهم يكنوا عند وصولهم إلى تونس في مبيت تحت إشراف الكنيسة في المرسى وتُديره الراهبات. ووُصفت تجربة الإقامة في مبيت بأنها "مُثرية" لأنها تسمح للفتيات بالتعرف على جنسيات مختلفة (فرنسية، إيطالية، إلخ..). كما تعد الجامعات بالنسبة إلى الطلبة الراغبين في إقامة روابط ع المهاجرين اللآخرين مكانا للتلاقي. ويسهل الانتماء إلى نفس البلد الاندماج المجتمعي. وفي هذا السياق يقول مهاجر:" هنا ألتقي بالعديد من الكامرونيين من بلدي ولكن لا تجمعنا رابطة دموية." وحتى وإن لم تكن هناك رابطة عائلية بينهم ، يكفي الاشتراك في الجنسية للتلاقي وتوطيد العلاقات. كما يمكن أن يكون المطبخ مجالا للتعارف. تقول مهاجرة:" نحن نطبخ معا.وعن طريق التعاون نتعاون جميعنا وهكذا نكون عائلة."

وبالتالي ، تكون مساكن المهاجرين مكانا للتلاقي والانتساب. فغالبا ما ينظمون لقاءات في شقة أو منزل أحد منهم هروبا من العداء الخارجي. وتستمد أهمية السكن من أهمية العلاقات مع الآخرين. فلا يتحقق الاندماج دون علاقات ويغدو الاقصاء أمرا محتوما. يوفر السكن عبر توفير فضاءات للقاء فضاء للتواصل والنزاع المشترك.

### 2. الانتساب والمساعدة المجتمعية

إن فضاءات اللقاء هي فضاءات انتساب ،فينشأ تضامن عام بين أفراد الجماعة. فيقيم المهاجرون علاقات تمتاز بالمساعدة والرغبة في تقاسم الموارد المتاحة. وفي هذا السياق تصف مهاجرة الطريقة التي تسلم بها وتتحدث بها مع الأشخاص الذين يتحدثون اللينغا وهي لغة بلدها الأصلي في الشارع. ويقول آخرون أن بإمكانهم أن يمدوا المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> بالمال أو الطعام أو المسكن وقت الحاجة. وتقول طالبة تسكن في ولاية صفاقس:" أحيانا لا يستطيع بعض الأصدقاء تدبّر أمورهم فيطلبون مني أن أقطع لهم تذكرة مثلا وبعد ذلك يسددون ثمنها ونحن نتعاون على قضاء شؤوننا جميعا." ويحدثنا مهاجر آخر عن مساعدته للمهاجرين أول قدومهم إلى تونس فيأمن الاتصال بينهم وبين أصحاب المنزل أو الأشخاص الذين يبحثون عن شركاء سكن. يعيش المهاجرون القادمون من إريتريا في محنة في الدول العربية المُضيفة[129]. وهم يحاولون التوفيق بين العديد من الصفات وينهجون استراتيجيات متنوعة للمقاومة. وفي جرجيس، قال مهاجر إريتري يبلغ عمره 17 سنة :" في كل بلد تزوره ، تلاقي أخا من موطنك لم تكن تعرفه من قبل ولكن حين تلتقي به يقول أنه قادم من تونس مثلا. فيكون كل شخص تونسي الجنسي تقابله في بلد أجني بمثابة أخ لك أي تصبحان أخوة. فإن كنت أنت من بن قردان وأنا من جرجيس فنحن ننتمي إلى نفس البلد في نهاية المطاف وهو تونس ولاسيما لو كانت الأوضاع صعبة. ونفس الشيء بالنسبة لنا. لقد تعرفنا على أصدقاء في البحر وهم قادمون من السودان ونحن نتقاسم نفس الغرفة في المبيت. لقد قضينا أربعة أيام في البحر سويا وتم إنقاذنا في اليوم الخامس. وفي شهر رمضان نصلي سويا ونفطر سويا. أنا يتيم وقد اعتنى بي إخوتي وأصدقائي. وإذا عدت إلى بلدني فأنا لا أساوي سوى رصاصة واحدة. تسود الدكتاتورية في بلدي. هل تواكب ما يحدث في كوريا الشمالية؟ لا فرق بين ما نعيشه وما يعيشونه هناك . وإذا كنا نسير نحن الثلاثة معا وتشاجر أخي مع أشخاص لا يمكن أن أتركه يتصارع معهم بمفرده. سأقاتل معه بطبيعة الحال فإما أن نفوز سويا أو نموت سويا. فكيف ألوذ بالفرار كي أنجو وأترك أخي يواجه مصيره بمفرده؟ ونحن نموت كل دقيقة وكل ثانية هنا لأننا نفتقر لأشياء عديدة." وتمدح هذه الشهادة التضامن الأخوي لمجابهة صعوبات الحياة. إن بناء جماعة "الأخوة" هي رد على التعسّف المُعاش. ويبدو أن الالتجاء إلى الآخر للاحتماء والبقاء سويا أداة لمقاومة التعسّف والظلم.

[129] ثيولي، هيلين. " الاجئون الإرتريون في العالم العربي.علم الآثارمن نزوح طويل "، الحركات ، المجلد. 93 ، لا. 1 ، 2018 ، ص. 107-117.

## خلاصة عامة

إن مسألة السكن في تونس مسألة إشكالية. أن البحث عن مسكن أقرب الى مسار المجاهد. ويُلاقي الأفراد جملة من الصعوبات التي تكون أحيانا صعبة أو غير محتملة للحفاظ على المسكن. وتزداد وطأة هذه الصعوبات على القادمين من <<جنوب الصحراء>> مهما كان وضعهم الإداري والاجتماعي.

إن دمقرطة الحق في التنقل لا يمكن وصفها بالسلسة والسهلة في تونس أو في أي بلد آخر وخاصة وأن تونس تشهد تقلبات سياسية وثقافية تضع هذا الحق موضع شك ولاسيما بالنسبة إلى المهاجرين السود القادمين من بلدان <<إفريقيا جنوب الصحراء>>. وإن بدا نقد البعد الإنساني معضلة فإن حالة رعاية المهاجرين وطالبي اللجوء واللاجئين -كما توضح الشهادات- تعاني عيوبا كبيرة. إن الحدود الاجتماعية متحركة وبالتالي يكون التعميم أمرا خطيرا. يختص سكن المهاجرين القادمين من <<جنوب الصحراء>> بالهشاشة وهم يفتقرون إلى الخدمات الاساسية ويتعسّر عليهم الإندماج في أماكن سكناهم وبالتالي يكون الاندماج الاجتماعي عموما ضعيفا. ويحتم عليهم التمتع بمكان خاص اعتماد اسلوب دفاعي قصد البقاء وحفظ الكرامة المهددة.

ويمكن رصد نقاط تلاقي مع التونسيين المستضعفين اذ تختص سياسات السكن في البلاد بالقصور بالنسبة لجميع السكان بصفة عامة. وقد تم وضع هذه السياسات لمقاومة النزوح الجماعي من الريف إلى المدن الكبرى، لكنها لم تستبق وصول المهاجرين من "جنوب الصحراء ". تحت تأثير التمييز، انعزلت العديد من الأحياء وتقوقع سكانها على أنفسهم.

بفضل المهاجرين ,امكانية التعددية والاختلاف والتنوع الثقافي والمجتمعي ممكنة. إن العيش والعمل والمقاومة معًا يكون شكلاً ثابتًا من أشكال التعلم الاجتماعي. وينسج الأفراد المستضعفون روابطا اجتماعية بغض النظر عن جنسياتهم بتقاسم مجال جغرافي وتموقع اجتماعي يدلان عن المقاومة المشتركة فيشكلون شبكة مجتمعية تقوم على تقاطع تجاربهم تصبح قاطرة للتضامن وللسلطة.

إن المساكن غير المستقرة وغير الصحية التي يعيش فيها المهاجرون تشهد على السياسة الحيوية التي تسيطر وتفسح المجال لاستراتيجيات التحكم تحت شعار " دعه يموت" في حق هؤلاء الأشخاص. لذا، ينبغي الأخذ بعين الاعتبار الخذلان السياسي والانساني في هذا السياق. وبالتالي يجب أن يُصلح الأمر بواسطة تقنيات الوساطة والمناصرة.

وفي الختام نستأنف ذكر كلمات مهاجر تدعو إلى التفكير وإلى التفاعل الحق ومفادها:" إذا مكنتني جمعيتكم من التواصل مع الأشخاص المعنيين سيُصلح الأمر، لأنهم لن يستمعوا الي اذا توجهت إليهم بمفردي. اذا تكلمت عني جمعيتكم سيكون ذلك مفيدا. اذا لا يتحدث عني أحد، أنا لا أحد لي."

تم انجاز هذا العمل بمساعدة منحة مقدمة من مركز بحوث التنمية الدولية، أوتاوا، كندا. ان الآراء الواردة في هذا العمل ال تمثل آراء المركز أو آراء مجلس محافظي المركز.

International Development Research Centre
Centre de recherches pour le développement international

التنسيق الإقليمي للمشروع من قبل ARI - مبادرة الإصلاح العربي

تونس. جانفي 2023.

https://ftdes.net/en/

https://arabsocialprotectionhub.net/en/